ظاهرة الاتساع

عند أبي البركات الأنباري

المتوفى سنة ٥٧٧هـ

إعداد الباحثة

سحر السيد مصطفى خطاب

المدرس في قسم اللغويات بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

بسوهاج

المقدمة

الحمد لله الذي شرفنا بالانتماء إلى لغة القرآن ،والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فقد تميزت اللغة العربية بكثرة أساليبها التي تدل على سعتها وبعد غورها الذي لا ينتصف منه ولا يكاد يحاط به، ويأتي هذا البحث لدراسة ظاهرة الاتساع التي تعد سمة رئيسة من سمات لغتنا الخالدة ، والتي لم يلتفت إليها إلا قليل من الباحثين ، تلك التي وردت في طيَّات بعض الكتب مشاراً إليها باختصار ، أو أثناء شرح بعض آيات الذكر الحكيم وتفسيرها ، أو بعض الشواهد الشعرية ،وقد أفرد لها سيبويه باباً في كتابه بعنوان "باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام ، والإيجاز والاختصار"(١) ، ثم تحدث عنها في أبواب أخرى كالظروف ، والمصدر ، وغير ذلك ، كما عقد لها ابن السراج باباً أيضاً في كتابه "الأصول في النحو" ،وأفرد لها السيوطي باباً في كتابه " الأشباه والنظائر في النحو"(٢).

وقد ورد الاتساع في كتب اللغة في باب الزيادة والحذف والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتشبيه والتوكيد وفي باب المجاز إذا لحق بالحقيقة،وفي كتب البلاغة في المجاز(التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز المرسل) وفي كتب النحو في باب الحذف والتضمين والمجاورة وفي الظرف والجار والمجرور وفي أمور كلية ذكرها ابن هشام وغيره.

---

(١) - الكتاب كتاب سيبويه أبى بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: ١/٢١١-٢١٢،تحقيق: عبد السلام محمد هارون- دار الجيل بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م.

(٢) -الأشباه والنظائر للسيوطي ١/ ٣١ تحقيق عبد العال سالم مكرم ،مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى .

وهذا البحث يعنى بدراسة هذه الظاهرة وتوضيحها ، وجمع أمثلتها المتناثرة في كتب أبي البركات الأنباري ، وإثباتها في بحث متكامل ، يعين من أراد الاطلاع عليها من طلبة العلم ومحبي اللغة وغيرهم .

وقد آثرت البحث عن هذه الظاهرة في كتب أبي البركات الأنباري لأنه أحد أئمة العربية الأفذاذ الذين عرفوا للعربية قدرها وحقها ،وأسهم في بنيانها الشامخ بكتبه المتعددة التي حفلت بآراء أعلام النحاة على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، ولا يخفى على كل باحث في مجال علم النحو ما له من أثر جليّ في مساره، لما تميز به من ثقافة وسعة إدراك، ووضوح منهج ،كما أن هذه الظاهرة تمثلت في كتبه بصورة ترشحه أن يكون من أهم علماء العربية الذين تحدثوا عنها، فأردت جمع ما تناثر من ملاحظاته وقواعده حول هذه الظاهرة.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يتكون من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة،تحدثت في المقدمة عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره وخطة البحث فيه،وتحدثت في التمهيد عن أبي البركات الأنباري ومفهوم الاتساع.

وجعلت الفصل الأول للحذف والثاني للحمل على المعنى أو الموضع أو التوهم والثالث للتضمين والرابع لنيابة حروف الجر عن بعض،الفصل الرابع:الاتساع في صور متفرقة، وذكرت في الخاتمة أهم النتائج وذيلت البحث بفهرس للمراجع وأخر للموضوعات.

التمهيد

المبحث الأول:أبو البركات الأنباري

اسمه:

هو عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد الإمام أبو البركات الأنباري(١) يلقب بالكمال أو كمال الدين ،ولد بالأنبار في شهر ربيع الأخر عام ٥١٣هـ،وتلقى علومه الأولية على يد والده ، قدم بغداد في صباه، وقرأ الفقه حتى برع، وصار معيدا للنظامية، وكان يعقد مجلس الوعظ، ثم قرأ الأدب ، ولازم ابن الشجري حتى برع، وصار من المشار إليهم في النحو.

شيوخه:

بالرجوع إلى كتب التراجم والطبقات نجد أن لأبي البركات الأنباري – رحمه الله – كثيراً من الشيوخ ، منهم :

١-محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد الأنباري ،أبو الأنباري.

٢-أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد الأنماطي.

٣-أبو السعادات بن الشجري هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الشريف العلوي.

٤-أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر السلامي.

٥-أبو محمد عبد الله بن علي بن أحمد بن عبد الله المقرئ

٦-أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي.

---

(١) -تنظر ترجمته في معجم البلدان للحموي ٢٥٧/١ الطبعة الأولى ،دار صادر للطباعة والنشر ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.
و الكامل في التاريخ لابن الأثير ٤٧٧/١١ ،دار صادر بيروت،وأنباه الرواه على أنباء النحاة للقفطي١٦٩/٢ ،دار الفكر العربي القاهرة،وسير أعلام النبلاء للذهبي ٢١/ ١١٣تحقيق د.بشار عواد معروف ،و د.محي هلال السرحان،مؤسسة الرسالة،الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ٢/ ٢٩٢تحقيق:إحسان عباس ،دار صادر بيروت، وشذرات الذهب ٢٥٨/٤ والنجوم الزاهرة ٢٥٨/٤.

٧-أبو نصر احمد بن نظام الملك.

٨-أبو بكر محمد بن القاسم السهروردي.

٩-أبو بكر محمد بن عبد الله بن حبيب العامري.

١٠-خليفة بن محفوظ بن محمد بن علي المؤدب.

١١-سعيد بن محمد بن عمر بن منصور الإمام ابو منصور الرزاز.

تلاميذه:(١)

لقد قضى أبو البركات الأنباري حياته بالتدريس والتأليف تاركاً وراءه تراثاً ضخماً وثروة من العلم والأدب انتفع بها طلاب العلم والمعرفة ، ولابد للشيخ من تلاميذ ،أذكر منهم:

١-محمد بن موسى بن عمان بن حازم الملقب بالحازمي.

٢-محمد بن سعيد بن يحيي أبو عبد الله الوامضي.

٣-وجيه الدين بن المبارك بن سعيد أبو بكر الواسطي.

٤-عبد الغفار بن محمد بن عبد الواحد أبو سعد الأعلمي.

٥-أبو شجاع محمد بن أحمد بن علي العنبري.

مؤلفاته(٢):

---

(١) -ينظر: إنباه الرواة على أنباء النحاة تأليف الوزير جمال الدين أبى الحسن على بن يوسف القفطى (٦٢٤هـ)١٦٩/٢- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر العربي القاهرة- مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م ومعجم البلدان للحموي ٢٥٧/١و الكامل في التاريخ لابن الأثير ٤٧٧/١١ ، ،وسير أعلام النبلاء للذهبي ٢١/ ١١٣ وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ٢/ ٢٩٤،٢٩٣ وشذرات الذهب ٢٥٨/٤ والنجوم الزاهرة ٢٥٨/٤.

(٢) -ينظر:وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان١٣٩/٣تحقيق إحسان عباس ،دار صادر بيروت ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م،والعبر في خبر من غبر للذهبي ٢٣١/٤،الكويت ١٩٦٠م،وطبقات الشافعية للسبكي٢٤٨/٤ تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد =

لقد كثرت مؤلفات أبي البركات الأنباري – رحمه الله – واختلفت أنواعها ، وهذا يدل دلالة صادقة على غزارة علمه وعبقريته ، فهو من جملة أولئك الأفذاذ الذين ألفوا وحققوا ، ثم لم يقتصروا على علم واحد كما تدل مصنفاته الكثيرة في فنون العربية واللغة وفن الجدل والمناظرة وأصول الفقه وفروعه وعلم الكلام وطبقات النحاة ،وقد أوصلها بعضهم إلى مئة وثمانين مصنفا(١)،عدد السيوطي في بغية الوعاة سبعة وستين مؤلفا(٢)أذكر منها:

-أسرار العربية.

-الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين

- الإغراب في جدل الإعراب.

-البيان في غريب إعراب القرآن.

- ميزان العربية.

-نزهة الألباء في طبقات الأدباء.

-هداية الذاهب في معرفة المذاهب.

- لمع الأدلة.

-شفاء السائل في بيان رتبة الفاعل.

-الوجيز في التصريف.

-البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث.

-حلية العقود في الفرق بين المقصور والممدود.

-تفسير غريب المقامات الحريرية.

الطناحي ،دار الكتب العربية،البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي ٣١٠/١١ مكتبة المعارف ،بيروت لبنان ،الطبعة الثانية ١٩٩٠م.

(١) -شذرات الذهب ٢٥٨،٢٥٩/٤

(٢) -بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي٨٧/٢ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،دار الفكر ،الطبعة الثانية ١٩٧٩م.

-البيان في جمع أفعل أخف الأوزان.

ولقد عاد عليه هذا التبحر في اللغة والتوسع فيها بالخير العميم، وقاده هذا التغلغل في أسرار العربية إلى الفهم العميق، والعمل بما توصل إليه فهمه، وأيقن به قلبه.

ثناء العلماء عليه:

كان إماما ثقة صدوقا، فقيها مناظرا، غزير العلم، ورعا زاهدا عابدا، تقيا عفيفا، لا يقبل من أحد شيئا، خشن العيش والمآكل، يقول أحد تلاميذه – وهو الإمام الموفق عبد اللطيف البغدادي – ليحدثنا عن أوصافه وشمائله" :الكمال شيخنا لم أر في العُبَّاد المنقطعين أقوى منه في طريقه، ولا أصدق منه في أسلوبه، جدّ محض لا يعتريه تصنع ،ولا يعرف السرور ولا أحوال العالم." (١)

وفاته:

توفي ليلة الجمعة التاسع من شعبان سنة سبع وسبعين وخمسمائة ودفن بباب أبرز بتربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازى.[٢]

مذهبه النحوي:

أبو البركات الأنباري عالم كبير متمكن في فنون العربية ملم بمذاهب النحاة من أعلام المدرستين الكوفية والبصرية ،فقد وقف على آرائهما في كتابه "الأنصاف"،الأمر الذي مكنه من الدقة في التعليل وإيراد أدلة المدرستين في كثير من المسائل النحوية والصرفية التي أورها في كتابه بعد أن كانت مسائل الخلاف بين نحاة البصرة والكوفة مشتتة في كتب البصريين والكوفيين

---

(١) -سير أعلام النبلاء١١٥/٢١.

(٢) - ينظر:إنباه الرواة ١٧١/٢،ومعجم البلدان للحموي ٢٥٧/١و الكامل في التاريخ لابن الأثير ٤٧٧/١١

،وقد حاول بعض النحاة جمع تلك المسائل ،وأول من بدأ بذلك ثعلب(١)؛ولكن ردودهم كانت جزئية ،وبقي أمر التأليف في الخلاف النحوي كذلك إلى أن ألف أبو البركات الأنباري كتاب الإنصاف الذي يسعف الدارس لأول مرة إلى ما يريد.،يعقب ذلك رد كل فريق على حجج الفريق الآخر ،وينتهي بالنتيجة أو الحكم الذي اكتفى فيه أبو البركات الأنباري بإيراد ردود البصريين على حجج الأولين فتكون هذه الردود هي حكمه نفسه في المسألة المعروضة مع أنه نصر مذهب الكوفيين في مسائل قليلة.

ويتضح من خلال مؤلفات الأنباري إنه بصري المذهب مؤيدا لهم،ناقدا للكوفيين مفندا لآرائهم ،فهو يصف رأي الفراء وهو من رؤساء الكوفيين بأنه لا ينفك من ضعف(٢)،أو بأنه ظاهر الفساد(٣)،أو بأنه ليس بشيء(٤)،أو بأنه مجرد دعوى تفتقر إلى دليل(٥)إلى غير ذلك من العبارات.

وهذا الذي يقوله في الفراء في الفراء يقوله في الكسائي (٦) وفي ثعلب(٧)أيضا .

وعلى كل فإليه يعود الفضل في إظهار أسس كل مذهب من المذهبين؛ ولا يضيره بعد ذلك اقتناعه بآراء أحد الفريقين، ولا سيما إذا وجده الأنسب، والأقرب إلى الصواب وفق اعتقاده.

---

(١) -الإغراب في جدل الإعراب لأبي البركات الأنباري ص٢٠تحقيق سعيد الأفغاني.
(٢) -أسرار العربية ص٢٩
(٣) -السابق ص٥٣
(٤) -السابق ص١٩٢
(٥) - الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين للأنباري ٢٦٤/١ ،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد- مطبعة السعادة ،الطبعة الرابعة١٣٨٠هـ-١٩٦١م.٢٦٤/١
(٦) -أسرار العربية ص٢٩ والإنصاف٦٠٠/٢
(٧) -الإنصاف٢٤٧/١

وقد كان حريصا على حشد آراء النحاة من مختلف المذاهب والطبقات في كل مسألة تعرض له وكان ينخل هذه الآراء ويختار منها ما يعتقد أنه صحيح سليم فإذا لم يوفق في ذلك رفضها كلها وانفرد برأي بديل.

أما سر شغفه بتتبع آراء النحاة واستحضارها في كل مناسبة تعرض له فهو الحرص على تأدية رسالته التعليمية وتزويد تلامذته بثقافة نحوية شاملة ،وهي المهمة التي كانت تحتل من قلبه وفكره مكانا كبيرا.

ولا يفوتنا أن نذكر أنه كان يبدي في ذلك كله استقلالا في الفكر وطرافة في العرض وعمقا في الرؤية ،ولم يكن مجرد حافظ مهمته تأدية ما في الكتب ونقل ما في بطون المصنفات(١) .

(١) -ينظر:ابن الأنباري وجهوده في النحو،تأليف د جمال إبراهيم علوش ص٣٣٨

المبحث الثاني:الاتساع

الاتساع على زنة(افتعال)مصدر الفعل (اتسع) على وزن (افتعل) وهو مأخوذ من الفعل الثلاثي المجرد وسع،من السعة التي هي خلاف الضيق،والافتعال هنا للمطاوعة يقال (وسّعته فاتّسع)(١)،والأصل(اوتسع)فأبدلوا فاؤه تاء ؛لوقوعها بعد كسر ؛إذ إنها ضعفت وصارت بمنزلة الواو في أول الكلمة وبعدها واو في لزوم البدل لما اجتمع فيها،يقول سيبويه:"فأبدلوا حرفا أجلد منها لا يزول وكان هذا أخف عليهم"(٢)

والتوسع مصدر الفعل تَوَسَّعَ–يتوسَّعُ ومنه أيضاً تَوَسُّعاً وسَعةً، وأصل يَسَعُ: يَوْسِعُ بالكسرِ، "(٣)وإنما فتح عين فعله (السين) في المضارع من أجل حروف الحلق(٤).

وتأتي في اللغة لعدة معان منها:

١–الامتداد والسرعة :جاء في العين:"ووَسِعَ الفرس سَعةً فهو وسَّاع(٥)

٢–الاحتواء:جاء في تهذيب اللغة:"يقال هذا الكيل يسعه ثلاثة أمناء ،وهذا الوعاء يسعه عشرين كيلا ،وهذا الوعاء يسع عشرون كيلا.(٦)

٣–الضخامة والامتلاء:"جاء في التهذيب:"ورجل موسع وهو المليء.(١)

---

(١)-المعجم الوسيط ص١٠٣١(وسع) ،مجمع اللغة العربية ،مكتبة الشروق الدولية ،الطبعة الرابعة٢٠٠٤م.

(٢) -الكتاب ٢٣٤/٤

(٣) -الكتاب ١١١/٤.

(٤) - شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين الأستراباذى (٦٨٦هـ)١٢٠/١- تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد -دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

(٥)-العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٥هـ٢٠٣/٢ وسع)تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ،الطبعة الأولى،بيروت–لبنان مؤسسة الأعلمي ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م

(٦)-تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري ت٣٧٠هـ) إشراف محمد عوض مرعب ،تعليق عمر سلامي وعبد الكريم حامد تقديم فاطمة محمد أصلان الطبعة الأولى بيروت لبنان دار إحياء التراث ١٤٢١هـ ٢٠٠١م٦١/٣ وسع)

٤-التفسح:جاء في الصحيح:"وتوسعوا في المجلس أي تفسحوا فيه.(٢)

٥-الغنى وقدرة ذات اليد:جاء في العين:"الوُسع جدة الرجل،قدرة ذات يده(٣)

٦-الإحاطة :"جاء في التهذيب :"ويقال :الواسع المحيط بكل شيء من قولهم وسع كل شيء علما أي أحاط .(٤)

وهذه المعاني كلها لا تخرج عن المعنى العام للاتساع الذي هو ضد الضيق والانحسار ،فهي تعود في أصلها إلى كل ما يدل على الانتشار والسعة ،وهو بدوره ضد الضيق والانحسار.

أما الاتساع اصطلاحا: فيعني توسيع معنى اللفظ ومفهومه ونقله من المعنى الخاص الدال عليه إلى معنى أعمّ وأشمل[٥].

الاتساع عند البلاغيين:

قد شاعت هذه الظاهرة شيوعا ظاهرا قلما غفلت عنها كتب البلاغة، ولكن البلاغيين توزعت أنظارهم ما بين النظر إلى هذه الظاهرة من زاوية علم البيان أو من زاوية علم المعاني أو علم البديع، وخلاصة ما انتهى إليه علماء البلاغة في تعريفهم للاتساع ثلاث تعريفات : أولها: العدول عن الحقيقة إلى المجاز لغير مشاركة بين المنقول والمنقول إليه(٦) ومن هذا القبيل

---

[١]-تهذيب اللغة ٦١/٣

[٢]-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري ٤٣٨/٣(وسع)تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ،دار العلم للملايين ،الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م.

[٣]-العين٢٠٣/٢ وسع)

[٤]-تهذيب اللغة ٦٢/٣(وسع)

[٥] -فقه اللغة وخصائص العربية ،المبارك محمد ص٢١٨،دار الفكر –بيروت،الطبعة السابعة ١٩٨١م.

[٦] -المثل السائر لابن الأثير ٧٨/١،تحقيق د.أحمد الحوفي،ود.بدوي طبانة،الطبعة الثانية،دار نهضة مصر.

قولـه تعالى:"ثم استوى إلـى السماء وهـي دخـان فقال لهـا ولـلأرض أتيـا طوعا أو كرها قالتا أتينـا طـائعين"(١) ،فنسبة القول إلـى السماء والأرض من بـاب التوسـع؛لأنهما جمـاد،والنطق للإنسـان لا للجمـاد،ولا مشـاركة ههنـا بـين المنقول والمنقول إليه .

ثانيهما:ما التقى عليه الخطيب القزويني المتوفى سنة٧٣٩هـ ويحيـي بن حمـزة العلـوي المتـوفى سـنة ٧٤٥هـ ،أمـا القزوينـي فسـماه توشـيعا ،وألحقـه بالإطناب من علم المعاني ،،وأما يحيي العلوي فسماه أيضا توشيعا؛لكنه ألحقه بالمحسنات البديعية المعنوية ،وقد عرفا التوسيع بأنـه:أن يـأتي المتكلم بمثنـى يفسر بمعطوف عليه ،وذلك من أجل أن التثنيـة أصلها العطف فيوسـع المثنـى بما يدل على معناه ويرشد إليه على جهة العطف(٢) .

وثالثهما:ما قال به ابن رشيق القيرواني المتوفى سنة٤٥٦هـ عن التوسع وهو أن يقول الشاعر بيتا يتسع فيه التأويل ،فيأتي كل واحد بمعنى ،وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ وقوته واتساع المعنى ومنه قول الشاعر:

أَخَذْنا بِآفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمُ لَنَا قَمَرَاها وَالنّجُومُ الطّوَالِعُ(٣)

فقمراها تغليب ؛لأن القمر أكثر استعمالا عند العرب من الشمس(٤) ومنه ومنه قولهم"العمران"،لما كان عمر أطول أياما وأكثر تأثيرا.

---

(١) فصلت:١١

(٢) -التلخيص في علوم البلاغة للقزويني ص٢٢٣،٢٢٢،شرحه:عبد الرحمن البرقوقي،دار الفكر العربي. ،والطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيي بن حمزة العلوي٨٩/٣،مطبعة المقتطف بمصر ١٣٣٣هـ-١٩١٤م.

(٣) -البيت للفرزدق:ينظر ديوانه ص

(٤) - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني٩٤/٢،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،دار الجيل بيروت لبنان.

الاتساع عند اللغويين:

لم يتطرق الأقدمون في كتبهم النحوية إلى تعاريف دقيقة لمصطلح "التوسع" أو "الاتساع"؛وذلك لأن عناية القدماء بالتطبيق أغلب من عنايتهم بالتنظير ،ولا شك أنهم في تطبيقهم يصدرون عن أفكار معينة يمكن أن تشكل جوانب نظرية متكاملة ،وإن لم يعن أحد بعرضها وإبراز عناصرها عرضا نظريا واضحا ؛ لكنهم كانوا يستعملونه غالبا للدلالة على التجاوز في استعمال الألفاظ والمعاني النحوية.

وقد أفرد سيبويه للاتساع اللغوي حيزًا كبيرًا في كتابه وجعل له أبوابًا يمكننا جمعها في الآتي:

١-الاتساع عنده يقوم في معظمه على الحذف مثل حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وحذف الخبر وحذف الفاعل وحذف الموصوفات وإقامة الصفة مقام الموصوف وحذف الفعل وحذف حرف الجر وحذف صلة الموصول.(١)

٢- مثلما يكون الاتساع عند سيبويه في الحذف يكون أيضا في الزيادة مثل زيادة ما بين حرف الجر الباء والمجرور وبقاء عمل الجر من نحو قوله تعالى:"فبما نقضهم ميثاقهم"(٢)

٣-من صور الاتساع عند سيبويه الإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى من نحو قوله تعالى:"ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء "(٣)فلم يشبهوا بما ينعق ،وإنما شبهوا بالمنعوق به والمعنى متكلم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع.(٤)

---

(١) -الكتاب ٢/٢٦٦، ١٣٠، ١٨٤، ١٨٦، ٣/١٢٦، ٤٨.

(٢) -النساء :١٥٥.

(٣) -البقرة:١٧١.

(٤) -الكتاب ١/٢١٢.

٤-من الاتساع عند سيبويه أن يكون المصدر حينا لسعة الكلام والاختصار من نحو متى سير عليه؟فتقول:مقدم الحاج وخفوق النجم.(١)

٥- ومن الاتساع أن تجرى الصفة مجرى الاسم من نحو لو أن سائلا سألك فقال:هل سير عليه؟لقلت نعم سير عليه سيرا شديدا وسير عليه حسنا.(٢)

٦- إضمار الفعل المتروك وإظهاره في غير الأمر والنهي من ذلك قولهم :"أخذتهم بدرهم فصاعدا "حذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إياه ولأنهم آمنوا ان يكون على الباء لو قلت :"أخذته بصاعد كان قبيحا ؛لأنه صفة ولا تكون في موضع الاسم كأنه قال أخذته بدرهم ،فزاد الثمن صاعدا أو فذهب صاعدا.(٣)

٧- من صور الاتساع عند سيبويه التجوز في الإخبار عن اسم العين بالمصدر كقول الشاعر:

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبار

فجعلها الإقبال والإدبار على سعة الكلام كقولك نهارك قائم وليلك قائم.(٤)

٨- انتصاب المصدر بعد الاستفهام مثل أجلوسا والناس يعدون ،لا يريد أن يخبر انه يجلس ولا أنه جلس وانقضى جلوسه ولكنه يخبر انه في تلك الحال في جلوس.(٥)

٩-نصب الأسماء المختصة على الظرف تشبيها ها بالمكان من نحو :هي مني منزلة الشغاف وهي مني منزلة الولد،فمنزلة اسم منصوب على

---

(١) -الكتاب ٢٢٢/١.
(٢) -الكتاب ٢٢٢/١.
(٣) -الكتاب ٢٩٠/١.
(٤) -الكتاب ٤١٢/١.
(٥) -الكتاب ٣٣٧/١.

الظرف بدليل قولك:هو مني بمنزلة الولد ،فإنما أردت أن تجعله في ذلك الموضع فصار كقولك :منزلي مكان كذا وكذا.(١)

١٠- من صور الاتساع الإتباع أو الحمل على الجوار أو أن يأتي نعتا على غير وجه الكلام من نحو هذا جحر ضب خرب، فالوجه الرفع في خرب وهو كلام أكثر العرب وأفصحهم وهو القياس لأن الخرب نعت لجحر والجحر مرفوع ،ولكن بعض العرب يجره ،وليس بنعت للضب ولكنه نعت للذي أضيف إلى الضب ،فجروه لأنه نكرة كالضب ولأنه في موضع يقع فيه النعت الضب ،ولأنه صار هو والضب بمنزلة اسم واحد.(٢)

١١-التغليب :تغليب المذكر على المؤنث كقولك هذا شاة قياسا على قوله تعالى:"هذا رحمة من ربي"(٣) أو تغليب المؤنث على المذكر من نحو قولك:له خمس من الإبل ذكور وخمس من الغنم ذكور من قبل إن الإبل والغنم اسمان مؤنثان.(٤)

١٢-استعمال المفرد مرادا به الجمع نحو قول المسيب بن زيد:"لا تذكروا القتل وقد سبينا في حلقكم عظم وقد شجينا".(٥)

والشاهد استعمال "حلقكم"مفردا مرادا به الحلوق.

١٣-الاتساع يتعلق باستعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى إيجازا واختصارا من نحو قول السائل :كم صيد عليه ،وكم غير ظرف ،فتقول:صيد عليه يومان ،والمعنى صيد عليه الوحش في يومين.(٦)

---

(١) -الكتاب ٤١٢/١.
(٢) -الكتاب ٤٣٦/١.
(٣) -الكهف :٩٨.
(٤) -الكتاب٥٦٢/٣.
(٥) -الكتاب ٢٠٩/١.
(٦) -الكتاب٢١١/١.

١٤-يقع التوسع في الظروف الزمانية أو المكانية بنقلها من حالة النصب لوقوع الحدث فيها إلى حالة الرفع نتيجة حذف حرف الجر من نحو متى يسار عليه؟فتقول:اليوم أو غدا ،وقد تقول سير عليه اليوم ،فترفع اليوم وأنت تعني في بعضه ،والرفع في هذا عربي كثير في جميع لغات العرب.(١)

وبذلك يكون الاتساع عند سيبويه ليس خروجا عن القاعدة بقدر ما هو تأكيد لها،وتسهيل على الناس ،وقل ما يكون هذا الاتساع عنده شذوذا أو اضطرارا ،بل إنه نوع من أنواع الإيجاز والاختصار ،ويقوم في معظمه على الحذف يعمد إليه المتكلم اعتمادا منه على فهم المخاطب للكلام الذي يسمعه تبعا للقرينة اللفظية أو الحالية.

ولا بد من الإشادة بالوقفة التي توقف فيها ابن السراج عند الاتساع بوصفه بابا من أبواب كتابه الأصول ،ويمكن عد هذه الوقفة أكثر قربا إلى وضع تنظير للاتساع بعد أن أدرك أن مصطلح الاتساع فضفاض المفهوم لذلك حاول تحديده وفرق بينه وبين الإضمار بقوله:"اعلم إن الاتساع ضرب من الحذف إلا أن الفرق بين هذا الباب والباب الذي قبله أن هذا تقيمه مقام المحذوف وتعربه بإعرابه وذلك الباب تحذف العامل فيه وتدع ما عمل فيه على حاله في الإعراب وهذا الباب العامل فيه بحاله وإنما تقيم فيه المضاف إليه مقام المضاف أو تجعل الظرف يقوم مقام الاسم."(٢)،أما الاتساع في إقامة المضاف إليه مقام المضاف فنحو قوله: "واسأل القرية"(٣)؛ تريد: (أهل القرية)، وقول العرب: (بنو فلان يطؤهم الطريق)؛ يريدون: (أهل الطريق) وقوله: (٤)؛ إنما هو: (برّ من آمن بالله). وأما اتساعهم في الظروف؛ فنحو

---

(١) -الكتاب١/٢١٦.
(٢) -الأصول ٢/٢٥٥.
(٣) - يوسف: ٨٢.
(٤) -البقرة: ١٧٧.

قولهم: (صيد عليه يومان)، وإنما المعنى: صيد عليه الوحش في يومين، (وولد له الولد ستون عاما)؛ والتأويل: (ولد له في ستين عاما) ومن ذلك قوله عز وجل:(١)، وقولهم: (نهارك صائم وليلك قائم)، وإنما المعنى: (أنك صائم في النهار وقائم في الليل) وكذلك: (يا سارق الليلة أهل الدار)، وإنما سرق في الليلة. وهذا الاتساع أكثر في كلامهم من أن يحاط به"(٢).

وقال –ردًّا على الكسائي الذي أجاز: (نعم الرجل يقوم وقام عندك) بإضمار (رجل) على تقدير: (نعم الرجل رجل عندك)– فقال: "وهذا عندي لا يجوز؛ من قبل أن الفعل لا يجوز أن يقوم مقام الاسم، وإنما تقيم من الصفات مقامَ الأسماء الصفاتَ التي هي أسماء صفات يدخل عليها ما يدخل على الأسماء، والفعل إذا وصفنا به فإنما هو شيء وضع في غير موضعه، يقوم مقام الصفة للنكرة، وإقامتهم الصفة مقام الاسم اتساع في اللغة، وقد يستقبح ذلك في مواضع(٣).

وممن تعرض للاتساع أيضا ابن جني في «باب في إيراد المعنى المراد بغير اللفظ المعتاد»: "اعلم أن هذا موضع قد استعملته العرب، واتَّبعتها فيه العلماءُ، والسبب في هذا الاتساع: أن المعنى المراد مفاد من الموضعين جميعا، فلما آذنا به وأدَّيَا إليه سامحوا أنفسهم في العبارة عنه؛ إذ المعاني عندهم أشرف من الألفاظ وسنفرد لذلك بابا"(٤).

،وما يهمني في بحثي عن الاتساع عند أبي البركات الأنباري هو مما كثر وشاع في كتب النحاة من الحذف والحمل على المعنى أو على التوهم والتضمين ووضع أحد حروف المعاني مكان بعض.

---

(١) - سبأ: ٣٣.
(٢) الأصول لابن السراج: ٢٥٥/٢، والأشباه والنظائر: ٣٤/١.
(٣) السابق: ١١٨/١.
(٤) الخصائص: ٤٦٦/٢.

وشواهد الاتساع كثيرة ومتنوعة في كتب أبي البركات الانباري؛لكن حسبي أمثلة يأنس القارئ بها ويقيس عليها أخواتها ،ويتضح من خلالها أثر الاتساع في معنى التركيب اللغوي فمن ذلك:

الفصل الأول: الحذف

الحذف ظاهرة لغوية تشترك فيها اللغات الإنسانية، لكنها في اللغة العربية أكثر ثباتًا ووضوحًا؛ لأن اللغة العربية من خصائصها الأصيلة الميل إلى الإيجاز والاختصار، والحذف يعد أحد نوعي الإيجاز وهما: القصر والحذف، وقد نفرت العرب مما هو ثقيل في لسانها، ومالت إلى ما هو خفيف.

والحذف في اللغة: القطع والإسقاط؛ جاء في الصحاح: "حَذْفُ الشيءِ: إسقاطُه. يقال: حَذَفْتُ من شَعْري ومن ذَنَبِ الدابَة، أي أخذت... وحَذَفْتُ رأسَه بالسيف، إذا ضربته فقطعتَ منه قطعةً"(١). وفي لسان العرب: "حذَفَ الشيءَ يَحْذِفُه حَذْفاً قَطَعَه من طَرَفه والحَجَّامُ يَحْذِفُ الشعْر من ذلك... والحَذْفُ الرَّمْيُ عن جانِبٍ والضرْبُ"(٢).

أما اصطلاحاً فهو:"إسقاط جزء الكلام أو كلّه لدليل"(٣).

ويسميه ابن جني بشجاعة العربية ، وهو يعده اتساعاً، والاتساع بابه آخر الكلام وأوسطه، فلا يكون في أوله(٤)

ولقد خلط بعض القدماء – من نحاة وبلاغيين – بين الحذف والإضمار؛ ولذلك قال أبو حيان(٥): "وهو موجود في اصطلاح النحويين، أعني أن يسمى الحذفُ إضماراً"؛لكن بعضهم تنبه إلى ضرورة التفريق بين الحذف والإضمار؛ ومن ذلك الفارسي حيث يقول: "وقد يحذف حرفُ الجر، فيصل الفعلُ إلى الاسم

---

(١) -الصحاح في اللغة ١٢٠/١

(٢) -لسان العرب٤٠/٩

(٣) - البرهان للزركشي: ١٠٢/٣

(٤) - الخصائص: ١٤٠/٢، ٢٩٧/٢

(٥) -تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٦٤٣/١،تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ،دار الكتب العلمية ،بيروت،الطبعة الأولى١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

المحلوف به وذلك نحو: اللهَ لأفعلنَّ، وربما أُضمِر حرفُ الجر، فقيل: اللهِ لأفعلنَّ".

بل ونجد ابن مضاء القرطبي ينتقد هذا الخلط بين المصطلحين واستعمالهما بمعنى واحد، ويفرق بينهما قائلاً: "الفاعل يضمر ولا يحذف"(١)، وذلك حيثما أمكن تقديره بضمير مستتر فهم يقصدون بالمضمر ما لا بد منه، وبالمحذوف ما يمكن الاستغناء عنه.

قال عبد القاهر الجرجاني(٢): "هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسحر؛ فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن".

وقد يكون الحذف في نطاق المفردات فيلحق بعلم الصرف ،كما يكون في نطاق الجمل والتراكيب فيلحق بعلم الصرف ،والغاية الرئيسة من الحذف هي التخفيف.(٣)

ويأتي الحذف لأغراض عديدة غير التخفيف كالتشويق والتعظيم والابتعاد عن الحشو والتكرار، يضاف إلى ذلك انه يُضفي للكلام روعة في تحريك الأذهان.

وقد كان أبو البركات الأنباري كثير التعرض للحذف ومعاودة النظر فيه كلما سنحت فرصة لذلك،فهو يعالجه معالجة دقيقة واعية ويخضعه لأدلة المنطق وأحكامه ويستخرج من ذلك أصولا ومقاييس قل أن نجدها في كتب

---

(١) -الرد على النحاةص١٣٠.

(٢) -دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ص١٤٦،تعليق:محمود محمد شاكر،مكتبة الخانجي بالقاهرة ،الطبعة الخامسة.

(٣) -أسرار العربية ص١٨٤، ٢٣٦،٣٧٢.

أخرى.يقول:" والحذف في كلامهم لدلالة الحال وكثرة الاستعمال أكثر من أن يُحْصَى[١]

فمن مسائل الحذف عنده:

-حذف الشيء لدلالة الحال عليه،يقول:"فإن قيل :فلم جاز حذف "لا"نحو قوله تعالى:"قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين"(٢) ،قيل:لدلالة الحال عليه ؛لأنه لو كان إيجابا لم يخل من "أن"أو اللام ،فلما خلا منهما دل على أنهما نفي،فلهذا جاز حذفها.(٣)

-حذف الشيء للعلم به ومن ذلك قوله تعالى:"ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا"(٤)،يقول:"من في"من استطاع"بدل من الناس وتقديره من استطاع سبيلا منهم فحذف الضمير للعلم به"(٥)

-الحذف لكثرة الاستعمال،ومن ذلك قوله:"فإن قال قائل فلم حذف القسم قيل:إنما حذف لكثرة الاستعمال،ألا ترى أن التقدير في قولك "بالله لأفعلن"أقسم بالله أو أحلف بالله.(٦)

- ومن الحذف لكثرة الاستعمال حذف اللام من (قم) إذ أصلها (لتقم) وعلل ذلك بقوله:" أنه لما كثر في كلامهم وجرى على ألسنتهم استثقلوا مجيء اللام فيه مع كثرة الاستعمال فحذفوها مع حرف المضارعة تخفيفا كما قالوا أيش والأصل فيه أي شيء وكقولهم ويلمه والأصل فيه ويل أمه فحذفوا لكثرة الاستعمال فكذلك ههنا .

---

(١) -الإنصاف٦١/١.
(٢) -يوسف:
(٣) -أسرار العربية ص٢٧٨.
(٤) -لآل عمران:٩٧.
(٥) -أسرار العربية ص٢١٩.
(٦) -أسرار العربية ص٢٧٥.

-وقال رادا على الكوفيين:"وقولهم أن الأصل في قم لتقم و اذهب لتذهب إلا أنه حذف لكثرة الاستعمال قلنا ليس كذلك فإنه لو كان الأمر كما زعمتم لوجب أن يختص الحذف بما يكثر استعماله دون ما لا يكثر استعماله فلما قيل اقعنسس واحرنجم واعلوط وما أشبه ذلك بالحذف ولا يكثر استعماله دل على فساد ما ذهبوا إليه.

-حذف الفضلة أولى،يقول في قوله تعالى:"أهذا الله بعث الله رسولا"(١)،إن العائد ضمير المنصوب المتصل والضمير المتصل يجوز حذفه ؛لأنه صار الاسم الموصول والفعل والفاعل والمفعول بمنزلة شيء واحد ،فلما صارت هذه الأشياء بمنزلة الشيء الواحد طلبوا لها التخفيف ،وكان حذف المفعول أولى ؛لأن المفعول فضلة بخلاف غيره من هذه الأشياء.(٢)

-ما حذف وفي اللفظ على حذفه دلالة أو حذف إلى عوض وبدل فهو في حكم الثابت ،يقول في علة حذف رب بعد الواو والفاء وبل:"إنما جاز ذلك لأن هذه لأحرف صارت عوضا عنها دالة عليها فجاز حذفها،وما حذف وفي اللفظ على حذفه دلالة أو حذف إلى عوض وبدل فهو في حكم الثابت.(٣)

- حذف ما لم يدخل لمعنى أولى من حذف ما دخل لمعنى كحذف الياء من الاسم المنقوص إذا كان نكرة ،فتقول:هذا قاضٍ يا فتى ومررت بقاضٍ ،والأصل هذا قاضي ومررت بقاضي ،إلا أنهم استثقلوا الضمة والكسرة على الياء فحذفوهما ،فبقيت الياء ساكنة فحذفوا الياء لالتقاء الساكنين(٤)

---

(١) -الفرقان:١٤١.
(٢) -أسرار العربية ص٣٨١.
(٣) -الإنصاف ٣٩٩/١ و أسرار العربية ص٣٨
(٤) -أسرار العربية ص٣٧.

ويعلق معللا ذلك:"وكان حذف الياء أولى من حذف التنوين ؛لأن التنوين دخل لمعنى وهو الصرف ،وأما الياء فليست كذلك فلما وجب حذف أحدهما كان حذف ما لم يدخل لمعنى أولى من حذف ما دخل لمعنى"(١)

-قد يستغنون ببعض الألفاظ عن بعض إذا كان في الملفوظ دلالة على المحذوف لعلم المخاطب ،يقول في قوله تعالى:"والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات"(٢) فلم يعمل الآخر فيما أعمل فيه الأول استغناء عنه بما ذكره قبل ولعلم المخاطب أن الثاني دخل في حكم الأول.(٣)

-أن الشعر يضطر فيه الشاعر فيحذف ،من ذلك قول الشاعر:

وأخو الغوان متى يشأ يصرمنه ويصرْنَ أعداءً بُعيد وداد(٤)

أراد الغواني فاجتزأ بالكسرة.

وقول الآخر:

فما وجد النهديّ وجداً وجدتهُ ولا وجد العذري قبلِ جميل(٥)

أراد قبلي.

وقول الآخر:

وطرت بمنصلي في يعملاتً دوامي الأيد يخبطن السريحا(٦)

---

(١) -السابق ص٣٨.

(٢) -الأحزاب:٣٥.

(٣) -الإنصاف ٩٣/١.

(٤) -البيت من للأعشى،والغوان جمع غنية،وهي المرأة الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة،يصرمنه:يقطعن وده،الكتاب١٠/١

(٥) -البيت من الطويل للعجير السلولي ،ينظر: ضرائر الشعر لابن عصفور الإشبيلي ص١٢٧،تحقيق السيد إبراهيم محمد ،الطبعة الأولى ١٩٨٠م،والإنصاف٤٢٤/٢.

(٦) -البيت من الوافر لمضرس بن ربعي،الكتاب٢٧/١ والمنصف٧٣/٢،والإنصاف٤٥٧/٢.

إلى غير ذلك من الشواهد ،وقد علل هذا الحذف بقوله :"الشعر يضطر فيه الشاعر فيحذف ،فدل على أن الحذف إنما يكون في الشعر لا في اختيار الكلام بالإجماع وما حذف للضرورة لا يجعل أصلا يقاس عليه"(١)

-الحذف في آخر الكلمة أكثر من غيره ،يقول معللا حذف اللام من سفرجل في جمعه على سفارج:"إنما وجب حذف آخر حروفه لطوله ولو أتى به على الأصل لكان مستثقلا فحذف طلبا للخفة ،وكان أولى بالحذف ؛لأنه أضعف حروف الكلمة ؛لأن الحذف في أخر الكلمة أكثر من غيره."(٢)

-علامة المضمر لا تحذف ،فقوله تعالى :"إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار"(٣)أصله بثلاث نونات فحذفت الثانية ؛لأنه أقل تغييرا من حذف الأولى والثالثة ؛لأنك لو حذفت الأولى لأدى ذلك إلى إدغام الثانية في الثالثة ؛لأنه كان يجتمع حرفان متحركان من جنس واحد فيؤدي إلى إسكان الأولى وإدغامها في الثانية بعد حذف حركتها فيؤدي إلى حذفين ،ولو حذفت الثالثة لأدى ذلك إلى كسر النون في (إني) فيؤدي إلى حذف وتغيير،وليس في حذف الثانية إلا مجرد الحذف فقط ،فكان حذفها أولى ،ولأنها الحرف الأخير فكانت أولى بالحذف والتغيير ،ولهذا تحذف في حالة التخفيف ؛ولأنه لو كان المحذوف الثالثة لكان ذلك يؤدي إلى حذف الضمير في نحو (إنا)،وعلامة المضمر لا تحذف.(٤)

ومن الحذف عنده للتخفيف قوله:" كما يجوز إظهار الفعل وإضماره بعد "إن" في قولهم "إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر" وإنما حذفت ههنا بعد اللام

---

(١) -الإنصاف ٤٥٧/٢.

(٢) -أسرار العربية ص٣٥٩.

(٣) -المائدة ٢٩

(٤) -البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات الأنباري ٢٨٩/١تحقيق د.طه عبد الحميد طه ،مراجعة مصطفى السقا،الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٢هـ-١٩٨٠م.

وكذلك بعد الواو والفاء تخفيفًا، والحذف للتخفيف كثير في كلامهم؛ ولهذا يذهبون إلى أنه حذفت لام الأمر وتاء المخاطب في أمر المَوَاجَهِ طلبًا للتخفيف، وقد حكى هشام بن معاوية عن الكسائي أنه حكى عن العرب "لا بُدَّ مِنْ يَتْبَعَهَا" أي: لا بد مِنْ أن يتبعها؛ فحذف "أن" فكذلك ههنا.(١)

- ومن حذف الحرف قول الشاعر:

يا راكبا بلغ إخواننا ... من كان من كندة أو وائل

"بلغ" فإن الأصل "بلغن" فحذف النون وأبقى الغين على فتحتها(٢)

-وقال أن الأصل في خير منك وشر: أخير منك، وأشرر منك؛ إلا أنهم حذفوا الهمزة منهما لكثرة الاستعمال، وأدغموا إحدى الراءين في الأخرى من قولهم "شر منك" لئلا يجتمع حرفان متحركان من جنس واحد في كلمة واحدة؛ لأن ذلك مما يستثقل في كلامهم.(٣)

-وقال في حذف كل من قول الشاعر:

أَكُلَّ امْرِئٍ تَحْسَبِينَ امْرَأً ... ونارٍ تَوَقَّدُ بالليل نَارَا

أراد "وكل نار" فاستغنى عن تكرير "كل" وهذا كثير في كلامهم، وبهذا يبطل قول من توهَّم منكم أن ياء النسب في قولهم: "رأيت التيميَّ تيم عديَّ" اسم في موضع خفض؛ لأنه أبدل منهما "تَيْمِ عديٍّ" فخفضه على البدل؛ لأن التقدير فيه: صاحب تيم عدي، فحذف "صاحب" وجر ما بعده بالإضافة؛ لأنه في تقدير الثَّبَات(٤)

- ومن الحذف عنده للإيجاز قول الشاعر:

---

(١) -الإنصاف٢/٤٧٠.
(٢) -الإنصاف٢/٤٦٣.
(٣) -الإنصاف ٢/٤٠١.
(٤) -الإنصاف٢/٣٨٦.

حتـــــى إذا قَمِلَـــــتْ بطـــــونكم ... ورأيـــــتم أبنـــــاؤكم شَـــــبُّوا
وقلبـــــتم ظهـــــر المجـــــن لنـــــا ... إن اللئـــــيم العـــــاجز الخَـــــبُّ

الواو فيه عاطفة، وليست زائدة، والتقدير فيه: حتى إذا قملت بطونكم ورأيتم أبنـاءكم شـبوا وقلبـتم ظهـر المجـن لنـا بـان غـدركم ولُـؤْمُكم. وإنما حذف الجواب في هذه المواضع للعلم به؛ توخّيًا للإيجاز والاختصار.

–ومن الحذف قوله:وقد جاء حذف الجواب في كتاب الله تعالى وكلام العرب كثيرًا، قال الله تعالى: {وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً} [١] فحذف جواب "لو" ولا بدّ لها من الجواب، والتقدير فيه: ولو أن قرآنا سُيِّرَت به الجبال أو قطعت به الأرض لكان هذا القرآن، فحذفه للعلم به توخيا للإيجاز والاختصار، وقال تعالى: {وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ}[٢] فحذف جواب "لولا" والتقدير فيه: ولولا فضل الله عليكم ورحمته لفَضَحَكُم بما ترتكبون من الفاحشة ولعاجَلَكم بالعقوبة؛ وقال الشاعر:

حتى إذا أسْلَكُوهُم في قُتَائِدَةٍ ... شَلًّا كما تَطْرُدُ الجَمَّالَةُ الشَّرُدَا[٣]

ولم يأتِ بالجواب؛ لأن هذا البيت آخر القصيدة؛ والتقدير فيه: حتى إذا أسلكوهم في قُتَائدة شُلُّوا شلًّا، فحذف للعلم به توخّيًا للإيجاز والاختصار على ما بيَّنَّا.(٤)

ومن الحذف عنده قول الشاعر:

فصبحته كلاب الغوث يؤسدها ... مستوضحون يرون العين كالأثر[٥]

---

[١] -الرعد: ٣١.
[٢] -النور: ٢٠.
[٣] -البيت لعبد مَنَافٍ بن رِبْعٍ الهُذَلِيُّ
[٤] -الإنصاف٢/٣٧٨.
[٥] -البيت للراعي النميرى،الغوث: قبيلة من طيّئ، ويؤسدها: يغريها، ومستوضحون: فاعل يؤسدها، وأراد "صيادون مستوضحون" فحذف الموصوف وأبقى الصفة، والمعنى يغريها =

ومن حذف حرف الجر قول امرئ القيس :

ومثلِكِ بكرًا قد طرقتُ وثيِّبًا فألهيتها عن ذي تمائمَ مُغْيَلِ(١)

أي : رُبَّ مثلِكِ، ومن العرب من ينصبه على الفعل (٢)

يحذفونه فيما كثر في كلامهم ؛ لأنَّهم في تخفيف ما أكثروا استعماله أحوج.

–ومن الحذف قوله :"فإن قيل فلم حذف آخر ما كان خماسيا في الجمع نحو سفرجل وسفارج قيل إنما وجب حذف آخر حروفه لطوله ولو أتي به على الأصل لكان مستثقلا فحذف طلبا للخفة وكان الآخر أولى بالحذف لأنه أضعف حروف الكلمة لأن الحذف في آخر الكلمة أكثر من غيره فإن قيل فلم جاز أن يقولوا في جمع سفرجل سفاريج بالياء قيل لأنهم لما حذفوا اللام جعلوا الياء عوضا عن اللام المحذوفة منه فإن قيل فلم عوضوا بالياء دون غيرها قيل لأن ما بعد ألف التكسير مكسور فكأنهم أشبعوا الكسرة فنشأت الياء وذلك ليس بثقيل فلهذا كانت الياء أولى من غيرها(٣)

صيادون ينظرون هل يرون شيئًا، وقوله "يرون العين كالأثر" هو المقلوب، وأصله: يرون الأثر كالعين،ينظر الإنصاف٣٠٩/١.

(١) والبيت في الديوان :

فمثلِك حبلى قد طرقتُ ومرضعٍ فألهيتُها عن ذي تمائمَ مُحوِل .

ينظر : ديوان امرئ القيس ص٣٠ ، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، لأبي بكر بن الأنباري : ص٦٧

وقال التبريزي : (ورواية سيبويه : ومثلِك بكرًا قد طرقتُ وثيِّبًا ، يريد : ربَّ مثلِك ، والعرب تبدل من (ربَّ) الواو ، وتبدل من الواو الفاء لاشتراكهما في العطف)) شرح القصائد العشر ص ٣١ ، وينظر المقاصد النحوية : ٤٨٧/١ .

(٢) ـ الكتاب ١٦٢/٢-١٦٤ ، وينظر : شرح كتاب سيبويه للسيرافي ٤٨٧/٢ .

(٣) ـأسرار العربيةص٣٨٢.

– ومن الحذف عنده:"قوله تعالى:" أيهم أشد على الرحمن عتيا"[١] أي هو أشد فحذف المبتدأ في هذه المواضع كلها وحذف المبتدأ جائر في كلامهم فإن قيل فهذه الضمة في أيهم ضمة إعراب أو ضمة بناء قيل اختلف النحويون في ذلك فذهب سيبويه إلى أنها ضمة بناء لأنهم لما حذفوا المبتدأ من صلتها دون سائر أخواتها نقصت فبنيت وكان بناؤها على الضم أولى لأنها أقوى الحركات فبنيت على الضمة ك قبل وبعد والذي يدل على أنهم إنما بنوها لحذف المبتدأ أنهم لو أظهروا المبتدأ فقالوا ضربت أيهم هو في الدار لنصبوا ولم يبنوا وذهب الخليل إلى أن الضمة ضمة إعراب ويرفعه على الحكاية والتقدير عنده ثم لننزعن من كل شيعة الذي يقال له أيهم وذهب يونس إلى إلغاء الفعل قبله وينزل الفعل المؤثر في الإلغاء منزلة أفعال القلوب والصحيح ما ذهب إليه سيبويه (٢)

–وقال معللا حذف الياء:"فإن قيل فلم وجب حذف الياء المتحركة مما قبل آخره ياء مشددة نحو قولهم في النسب إلى أسيد أسيدي وما أشبه ذلك قيل لئلا يجتمع أربع ياءات وكسرتان وذلك مستثقل وإنما وجب حذف المتحركة لأن المقصود بالحذف التخفيف والمتحركة أثقل من الساكنة فكان حذفها أولى ولأنهم لو حذفوا الساكنة لكانت المتحركة تنقلب ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فلذلك كان حذف المتحركة أولى(٣)

–وقال معللا حذف الياء والألف :"وأما من قال مغزي وقاضي فحذف الألف والياء فلأن الألف ساكنة والياء الأولى من ياءي النسب ساكنة وساكنان لا يجتمعان فحذفت الألف لالتقاء الساكنين كما حذفت فيما كان على

---

(١) -مريم:٦٩.
(٢) -أسرار العربية ص٣٨٣.
(٣) -أسرار العربية ص٣٧٦.

خمسة أحرف فإن قيل فلم وجب حذف الألف والياء إذا كان الاسم على خمسة أحرف نحو قولهم في النسب إلى مرتجى مرتجي وإلى مشتري مشتري قيل إنما وجب حذف الألف والياء من الاسم إذا كان على خمسة أحرف لطول الكلمة وإذا جاز الحذف فيما كان على أربعة أحرف لزم فيما زاد على ذلك فإن قيل فلم لزم الحذف فيما كان على أربعة أحرف نحو قولهم في النسب إلى بشكى بشكي وإلى جمزى جمزي قيل لأنه لما توالت فيه ثلاث حركات متواليات تنزل منزلة ما كان على خمسة أحرف لأن الحركة قد تنزل منزلة الحرف (١)

-إنما حذفوا الياء في باب فعيلة وفعيلة دون باب فعيل وفعيل لأن باب فعيلة وفعيلة اجتمع فيه سببان موجبان للحذف وهما طلب التخفيف وتأنيس التغيير بحذف تاء التأنيث وباب فعيل وفعيل ليس فيه إلا سبب واحد وهو طلب التخفيف فلما كان في باب فعيلة وفعيلة سببان لزم الحذف ولما كان في باب فعيل وفعيل سبب واحد لم يلزم الحذف فإن قيل فلم قالوا حنفي بالفتح والأصل فيه الكسر قيل إنما قالوا حنفي بالفتح وإن كان الأصل هو الكسر لأنهم قلبوا الكسرة فتحة طلبا للتخفيف كما قالوا في النسب إلى شقر شقري وإلى نمر نمري بالفتح وان كان الأصل هو الكسر طلبا للتخفيف(٢)

-فإن قيل فلم حذف في قوله تعالى (أهذا الذي بعث الله رسولا) قيل لأن العائد ضمير المنصوب المتصل والضمير المنصوب المتصل يجوز حذفه وإنما جاز حذفه لأنه صار الاسم الموصول والفعل والفاعل والمفعول بمنزلة شيء واحد فلما صارت هذه الأشياء بمنزلة الشيء الواحد طلبوا لها التخفيف وكان حذف المفعول أولى لأن المفعول فضلة بخلاف غيره من هذه الأشياء فكان حذفه أولى فإن قيل فهل يجوز أن تكون الأسماء المفردة صلات قيل لا يجوز

---

(١) -أسرار العربية ص٣٧٥.
(٢) -أسرار العربية ص٣٧٢.

ذلك لأن أسماء الصلات إنما أدخلوها في الكلام توصلا إلى الوصف بالجمل كما أتوا ب ذو توصلا إلى الوصف بالأجناس وب أي توصلا إلى نداء ما فيه الألف واللام فكما لا يجوز إضافة ذو إلى غير الأجناس ولا يأتي بعد أي إلا ما فيه الألف واللام فكذلك ههنا لا يجوز أن تكون الصلات إلا جملا ولا يجوز أن تكون مفردة فأما قراءة من قرأ (تماما على الذي أحسن(١).)

– ومن حذف حرف الجر عنده قوله تعالى:(فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [٢]

قال : (سبع سماوات) منصوب، وذلك من وجهين ، أحدهما : أن يكون على البدل من الهاء والنون ، في (سوَّاهنَّ) ، والثاني : أن يكون منصوبًا لأنه مفعول (سوَّى) على تقدير ، فسوَّى منهنَّ سبع سماوات ، فحذف حرف الجر ، فصار (فسواهنَّ) كقوله : (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا)[٣] **أي : من قومه ، ثم حذف حرف الجر ، فاتصل(سوَّاهنَّ) بما بعده ، فنصبه (٤)"**

–وأجاز في قوله تعالى : (وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ)[٥] **إعراب (نَفْسَهُ) منصوبًا على نزع الخافض**[٦] **، إذ الأصل : سفه في نفسه ، فلما حذف حرف الجر اتصل الفعل بالاسم فنصبه ، وجعلوا نظير ذلك قوله تعالى : (وَإِنْ أَرَدتُّمْ**

---

[١] -أسرار العربية ص٣٨١.
[٢] -البقرة:٢٩.
[٣] -الأعراف :١٥٥.
(٤) - البيان في غريب إعراب القرآن ٦٨/١
[٥] -البقرة:١٣٠.
[٦] -ينظر : البيان في غريب إعراب القرآن ١٢٣/١

أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ)[1] ، والمعنى : أن تسترضعوا لأولادكم ، وقوله تعالى (وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ) [2]،والتقدير : ولا تعزموا على عقدة النكاح .

ولكن هذا الوجه من الإعراب ، هو في الأصل ، إعراب مصنوع، لا وجود له إلاَّ عنده ، فإن إقحامه بين الأوجه الإعرابية عبث ، ومردود لما يأتي :

لم أجد في المعجمات العربية ، وكتب التفسير من ذكر عبارة : سفه في نفسه ، وأشار إليها أنَّها من لغة العرب ، وهو الأصل الذي استند إليه لتسويغ إعراب (نَفْسَهُ) منصوبًا على نزع الخافض ، جاء في العين : (وسفه حلمَه ، ورأيَه ونفسَه : إذا حملها على أمر خطأ)(٣)

وقال الطبري في تفسيره : (إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ) من سفهتْ نفسُه ، وقد بينَّا فيما مضى أنَّ معنى السفه : الجهل ، فمعنى الكلام : وما يرغب عن ملة إبراهيم الحنيفية إلاّ سفيه جاهل)(٤) وجاء في التهذيب للأزهري : (السفه : الخفَّة ، ومعنى السفيه : الخفيف العقل ، ومن هذا يقال : تسفهت الرياحُ الشيءَ : إذا حركته ، واستخفته فطيَّرته ٠٠٠ ويقال : سفه فلان رأيَه : إذا جهله ، وكان رأيه مضطربًا ، لا استقامة فيه)(٥)

– وقال في قوله تعالى:(وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[6]،(ملة) منصوب بفعل مضمر ، تقديره :

---

(١) -البقرة:٢٣٣.

(٢) -البقرة :٢٣٥.

(٣) - ص ٤٣٢

(٤) - جامع البيان ٦٤٦/١ ، وينظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٦٤ .

(٥) - ١٧١٠/٢-١٧١١ .

(٦) -البقرة:١٣٥.

: بل نتبع ملة إبراهيم ، وزعم الكوفيون أنَّ تقديره : بل نكون أهل ملة إبراهيم ، والوجه الأول أوجه الوجهين ، لأنّك تفتقر في هذا الوجه إلى إضمار بعد إضمار ، إضمار الفعل وإضمار المضاف ، والإضمار على هذا الحد من المتناولات البعيدة ، فلا يصار إليها ما وجد عنها مندوحة)(١)

– وأعرب أبو البركات الأنباري (خيرًا) في قوله تعالى : (وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ)[٢]، منصوبًا على نزع الخافض (٣)

- وأجاز في قوله تعالى:(وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ)[٤]أن يكون منصوبًا على تقدير حذف حرف الجر ، وتقديره : ولا تعزموا على عقدة النكاح ، فحذف حرف الجر ، فاتصل الفعل به فنصبه)(٥)

– وأجاز في قول الله تعالى: (وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ)[٦]

أن يكون (كُلَّ مَرْصَدٍ) منصوب على نزع الخافض ، أو منصوب على الظرف(٧)

---

(١) - البيان في غريب إعراب القرآن ١٢٤/١

[٢] -البقرة:١٥٨.

(٣) - البيان في غريب إعراب القرآن ١٣٠/١ .

[٤] -البقرة:٢٣٥.

(٥) - البيان في غريب إعراب القرآن ١٤٦/١.

[٦] -التوبة:٥.

(٧) - ينظر : البيان في غريب إعراب القرآن ٣٩٤/١ .

الفصل الثاني
الحمل على المعنى أو التوهم أو الموضع

أولا:الحمل على المعنى

الحمل على المعنى من الظواهر المشهورة في اللغة العربية ومحورها المعنى ،لذا سميت بهذا الاسم ،وتوضح هذه الظاهرة مدى اهتمام العرب بالمعنى ،وما يزال :"التنقل من معنى إلى معنى كثيرا في كلامهم" (١) .

والمقصود بالحمل على المعنى في عرف النحاة هو أن يعطى حكم الشيء ما أشبهه في معناه أو في لفظه أو فيهما (٢) ،أو هو حمل لفظ على معنى أخر أو تركيب أخر ؛لشبه بين اللفظين أو التركيبين في المعنى المجازي ،فيأخذان حكمهما النحوي مع ضرورة وجود قرينة لفظية أو معنوية تدل على ملاحظة اللفظ أو التركيب الآخرين ،ويؤمن اللبس معهما.(٣)

وهو وسيلة من وسائل التأويل النحوي لرأب الصدع بين القواعد النحوية والنصوص اللغوية ،وفي هذه الوسيلة يقوم العنصر الدلالي (المعنى)بعلاج كثير من المخالفات اللفظية المنطوقة.(٤)

يقول ابن جني:"رأيت غلبة المعنى للفظ وكون اللفظ خادما للمعنى مشيدا به ،وإنما جيء به له ومن أجله ،وأما غير هذه الطريقة من الحمل على المعنى فأمر مستقر ومذهب غير مستكره(٥) ،ويقول أيضا:"اعلم إن هذا الشرح غور من العربية بعيد ومذهب نازح فسيح ،قد ورد به القرآن وفصيح

---

(١) -الإنصاف ١١٥/٢.
(٢) -مغني اللبيب ٦٧٤/٢.
(٣) -الحمل على المعنى رسالة ماجستير للباحث أشرف مبروك بكلية دار العلوم ،القاهرة ص٦.
(٤) -النحو والدلالة ،محمد حماسة عبد اللطيف،ص١٥٥.
(٥) -الخصائص ٢٣٧/١.

الكلام منثورا ومنظوما كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث وتصور معنى الواحد في الجماعة والجماعة في الواحد وفي حمل الثاني على لفظ قد يكون عليه الأول أصلا كان ذلك اللفظ أو فرعا "(١)

-تذكير المؤنث:

-فمن تذكير المؤنث عنده ما جاء في قوله تعالى:"فمن جاءه موعظة من ربه "(٢) يقول:"إنما ذكّر جاء لثلاثة أوجه:الأول:أنه إنما ذكره حملا على المعنى ،لأن موعظة بمعنى "وَعْظ"،والحمل على المعنى كثير في كلامهم"(٣)

-ومنه قوله على لسان البصريين:"إنما حذفوا علامة التأنيث من (طالق) ونحوه ؛لأنهم حملوه على المعنى كأنهم قالوا:شيء طالق أو إنسان طالق كما قالوا :رجل ربعة،فأنثوا والموصوف مذكر على معنى نفس ربعة(٤).

وقد أورد أمثلة كثيرة من الشعر منها:

-قول الشاعر:

قامت تُبَكِّيه على قبره من لي من بعدك يا عَامِرُ

تَرَكَتْنِي في الدَّار ذَا غُرْبَةٍ قد ذلَّ من ليس له ناصرُ(٥)

فقال "ذا غربة"ولم يقل ذات غربة ؛لأن المرأة في المعنى إنسان ، فحمله على المعنى، فكأنها قالت: تركتني إنسانًا ذا غربة، والإنسان يطلق على الذكر والأنثى

وقول الشاعر:

إن السماحة والمروءة ضمنا قبراً بمرو على الطريق الواضح

---

(١) -الخصائص ٤١١/٢،و الأشباه والنظائر ١٠٢/٢

(٢) -البقرة:٢٧٦.

(٣) -البيان ١٨٠/١.

(٤) -الإنصاف ٧٦٣/٢.

(٥) -

فقال "ضمنا" ولم يقل"ضمنتا"لأنه ذهب بالسماحة إلى السخاء وبالمروءة إلى الكرم.

وقول الأخر:

فإن تعهديني ولي لمة فإن الحوادث أودى بها

فقال (أودى)،ولم يقل (أودت) لأن الحوادث في معنى الحدثان.(١)

وقول الآخر:

يا بئرُ يا بئرَ بني عَدِيٍّ لأُنْزَحَنَّ قَعْرَكَ بالدُّلِيِّ

حتى تعودي أَثْطَعَ الوَلِيِّ(٢)

وكان الأصل أن يقول "قَطْعِي الولي" لأن البئر مؤنثة، إلا أنه ذكره حملا على المعنى، فكأنه قال: حتى تعودي قليبا أقطع الولي، والقليب الأغلب عليه التذكير، فانتقل من معنى إلى معنى، والتنقل من معنى إلى معنى كثير في كلامهم .

ومنه قول الشاعر أيضا:

إن تميمًا خُلِقَتْ ملمومًا ... قومًا ترى واحدهم صِهْمِيما(٣)

فقال "خُلِقَتْ" أراد به القبيلة، ثم قال "ملموما" أراد به الحي، ثم ترك لفظ الواحد وحقق مذهب الجمع فقال "قوما ترى واحدهم صهميما" والصهميم: هو الذي لا ينثني عن مراده

---

(١) -الإنصاف ٧٦٣/٢.

(٢) - ثلاثة أبيات من الرجز المشطور، والبئر: معروفة، وتقول: نزحت البئرإذا استقيت ماءها حتى ينفد أو يقل، والدّلي: جمع دلو، وأصلها دلوو الإنصاف٤١٥/٢

(٣) - هذان بيتان من الرجز المشطور، والصهميم: السيد الشريف من الناس، ومن الإبل الكريم، والصهميم: الخالص في الخير والشر،ينظر الإنصاف ٤١٦/٢ ولسان العرب"صهم"

-ومنه قوله تعالى:"السماء منفطر به"[١] ،يقول[٢]:"وإنما قال "منفطر"من غير تاء لثلاثة أوجه:الأول:أن يكون حمله على معنى النسب أي ذات انفطار،والثاني:أن يكون حمله على المعنى ،بأن جعل السماء في معنى السقف ،كما قال تعالى:"وجعلنا السماء سقفا محفوظا"[٣].

- ومنه أيضا تذكير "قريب"في قوله تعالى:"لعل الساعة قريب"[٤]حملا على المعنى ؛لأن الساعة بمعنى البعث."[٥]

إلى غير ذلك من الأمثلة التي تشير إلى ما تعنيه نظرية الحمل على المعنى ،وهي تبدو هنا كأنها مخرج للشعراء من مأزق يقعون بها أو تجاوزات يدفعون إليها.

تأنيث المذكر:

١-ومنه ما جاء في الحديث"مذ دجت الإسلام"[٦]؛لأن الإسلام بمعنى الملة.

٢-ومنه أيضا ما حكى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال:سمعت أعرابيا يمانيا ،يقول:فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها ،فقلت له :أتقول:جاءته كتابي،فقال:أليس بصحيفة؟(٧)

٣-ومنه قراءة سيد القراء أبي عمرو بن العلاء "وجئتك من سَبَأَ بنَبَأ يقين"[٨] فترك صرف سَبَأ، لأنه جعله اسمًا للقبيلة حملًا على المعنى، وقال الشاعر:

---

(١) -المزمل:١٨.
(٢) -البيان٢/٤٧١.
(٣) -الأنبياء:٣٢.
(٤) -الشورى:١٧.
(٥) -البيان ٢/٣٤٦.
(٦) - وكل شيء غطى شيئا فقد دجا عليه
(٧) -الإنصاف ٢/٧٦٣.
(٨) -النمل:٢٢.

من سَبَأَ الحَاضِرِينَ مأربَ إذ ... يبنون من دون سَيْلِهِ العَرِمَا[1]

فلم يصرف "سبأ" لأنه جعله اسمًا لقبيلة حملًا على المعنى.

٤- ومنه قول الله تعالى: "أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِثَمُودَ"[2]

فلم يصرف "ثَمُودَ" الثاني؛ لأنه جعل اسمًا للقبيلة حملًا على المعنى، ثم قال الشاعر:

تَمُدُّ عليهم من يمين وأشْمُلٍ بُحُورٌ له من عَهْدِ عَادَ وثُبّعَا[3]

فقوله "عاد " ممنوعة من الصرف مع أنه لا يوجد فيها إلا علة واحدة وهي العلمية؛لكنه جره بالفتحة نيابة عن الكسرة حملا على المعنى. وقال الآخر:

لو شَهْدَ عاد من زمان عَادِ لَابْتزَّهَا مَبَارِكَ الجِلَادِ(٤)

ف"عاد" الأولى رويت بالفتح من غير تنوين، وذلك يدل على أنه منعه من الصرف(٥) مع أنه لا يوجد فيها إلا علة واحدة وهي العلمية وذلك حملا على المعنى.

٥- ومنه قول الآخر:

غَلَبَ المَسَامِيحَ الوَلِيدُ سَمَاحَةً ... وكَفَى قريش المُعْضِلَاتِ وسَادَهَا[6]

---

[1]-عزاه الأعلم إلى النابغة الجعدي، وسبأ: اسم بلدة كانت تسكنها بلقيس صاحبة سليمان بن داود، وقيل: اسم رجل يجمع عامة قبائل اليمن، والعرم -بفتح العين وكسر الراء أو فتحها جمع عرمة، وهي سد يعترض به الوادي ينظر :الكتاب٢/٢٨،

[2] -هود:٦٨.

[3]- من شواهد سيبويه "٢/ ٢٧" ونسبه إلى زهير، وعاد: قبيلة، وهم قوم هود عليه السلام، وتبع -بضم التاء وتشديد الباء مفتوحة- واحد التبابعة وهم ملوك اليمن

[4]- هذان البيتان من الرجز المشطور، وهما من شواهد سيبويه "٢/ ٢٧" ولم ينسبهما إلى قائل معين، وابتزها: سلبها، ومبارك الجلاد: وسط الحرب ومعظمها، وأصل الكلام: لابتزها من مبارك الجلاد

[5] -الإنصاف ٢/٤١١.

[6] -البيت لعدي بن الرقاع العاملي يمدح فيه الوليد بن عبد الملك بن مروان سيبويه "١/ ٢٦ "

فلم يصرف "قريش" لأنه جعله اسمًا للقبيلة حملًا على المعنى، والحمل على المعنى كثير في كلامهم.

وقال الأعشى:

لقوم فكانوا هُمُ المُنْفِدِينَ شرابهمُ قبلَ إنفادِهَا[1]

وقول طرفة:

وما زال عني مما كنتُ يشوقني وما قلت حتى ارفضّت العين باكيا

فإنه ذكر باكيا –وهي خبر عن العين، والعين أنثى– لأنه أراد حتى ارفضت العين ذات بكاء، وإن كان أكثر ذلك إنما هو فيما كان معنى فاعل لا معنى مفعول، وقد يجوز أن يذكر على إرادة العضو، ومثل هذا يتسع فيه القول، ومثله قول الأعشى:

أرى رجلا منهم أسيفا كأنما ... يضم إلى كشحيه كفًا مخضبا

أي ذات خضاب، أو على إرادة العضو كما تقدم، وقد يجوز أن يكون مخضبا حالا من الضمير الذي في يضم"

وكان الأصل أن يقول "قبل إنفاذه" لأن الشراب مذكر، إلا أنه أنثه حملًا على المعنى؛ لأن الشراب هو الخمر في المعنى.

–وإنما جاز أن يكون الخبر "تسر الناظرين"بلفظ التأنيث لوجهين:أحدهما لأن اللون بمعنى الصفرة وكانه قال :صفرتها تسر الناظرين،والحمل على المعنى كثير في كلامهم"[2]

---

[1]-البيت للأعشى ميمون بن قيس ،ديوانه ص١٠٣شرح د. محمد حسين،مكتبة الآداب،المطبعة النموذجية.

[2] -البيان ٩٣/١.

-ومنه قوله تعالى:"بل الإنسان على نفسه بصيرة"[1]،يقول:"إنما أنث "بصيرة"لأنه حمل الإنسان على معنى النفس."[2]

-ودخلت التاء على "جاءت" في قولهم "ما جاءت حَاجَتَكَ" كأنهم قالوا: ما صارت حاجتك، وكانت حاجتك، وأدخلوا التاء على ما إذ كان ما هو الحاجة كما قال بعضهم "مَنْ كانت أُمَّكَ" فنصب الأم وأنَّث من حيث أوقعها على مؤنث؛ ولأن هذا الاسم عَلَم فجاز أن يختص بما لا يكون في غيره؛ لأن الأسماء الأعلام كثيرًا ما يُعْدَلُ ببعضها عن قياس الكلام...، وهذا لأن من كلامهم أن يجعلوا الشيء في موضع على غير حاله في سائر الكلام: إما لكثرة الاستعمال، أو تنبيه على أصل، أو غير ذلك.[3]

الواحد والجمع:

-ومن الحمل على المعنى عنده قوله تعالى "ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا"[4]،يقول:"ومن لمن يعقل تصلح للواحد والجمع ،ولقد وحد الضمير العائد عليه في "تتخذ"حملا على لفظه ،وجمعه في "يحبونهم"حملا على معناه"[5]

-"لن ينال الله لحومها"[6]يقول:"قرئ "ينال" بالياء والتاء ،فمن قرأ بالياء بالتذكير أراد معنى الجمع ،ومن قرأ بالتاء أراد معنى الجماعة ،والفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول يقوى التذكير ويزيده حسنا"[7]

---

(1) -القيامة:١٤.
(2) -البيان٢/٤٧٧.
(3) -الإنصاف٢/٣٢٨.
(4) -البقرة:١٦٥.
(5) -البيان ١/١٣٢.
(6) -الحج:٣٧.
(7) -البيان٢/١٧٦.

ومنه قوله تعالى:"قل لله الشفاعة جميعا"[١]يقول:"جميعا منصوب على الحال من الشفاعة ،وإنما قال "جميعا"والشفاعة لفظه لفظ الواحد ؛لأن الشفاعة مصدر ،والمصدر يدل على الجمع كما يدل على الواحد ،فحمل على المعنى ،والحمل على المعنى كثير في كلامهم."[٢]

ومنه قوله تعالى:"إذ تسوروا المحراب"[٣]يقول:"قال "تسوروا"بلفظ الجمع ؛لأن الخصم مصدر يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ،فجمع حملا على المعنى."[٤]

ومنه قوله تعالى:"ومن أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه"[٥] يقول:"أفرد الضمير في "أعرض"حملا على لفظ "من"وجمع في قوله"خالدين"حملا على معناه."[٦]

-ومنه قوله تعالى:"وكنا لحكمهم شاهدين"[٧]يقول:الضمير في"لحكمهم"له وجهان:أحدهما :أن يكون راجعا إلى داوود وسليمان ويكون ما قام فيه الجمع مقام التثنية"[٨]

-قوله تعالى:" وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ"[٩]،إنما قال "يستمعون حملا على المعنى؛لأن معناها الجمع وقوله تعالى:"من ينظر إليك"[١٠]إنما قال "ينظر"حملا على اللفظ لأن لفظها مفرد.[١١]

---

(١) -الزمر:٤٤.
(٢) -البيان٢/٣٢٤.
(٣) -ص:٢١.
(٤) -البيان٢/٣١٣.
(٥) -طه:١٠٠.
(٦) -البيان٢/١٥٤.
(٧) -الأنبياء:٧٨.
(٨) -البيان٢/١٦٣
(٩) -يونس:٤٢.
(١٠) -يونس:٤٣.
(١١) -البيان١/٤١٣.

ومن الحمل على المعنى عنده أيضا:

– إنما قالوا في جمع فرخ أفراخ لوجهين أحدهما أنهم حملوه على معنى طير فكما قالوا في جمع طير أطيار فكذلك قالوا في جمع فرخ أفراخ لأنه في معناه والوجه الثاني أن فيه الراء وهي حرف تكرير فتنزل التكرير فيه بمنزلة الحركة فصار بمنزلة فعل بفتح العين فجمع على أفعال كجبل(١)

– وقال في علة النصب بإذن وكي ولن :"إن قال قائل لم وجب أن تعمل أن ولن وإذن وكي النصب قيل إنما وجب أن تعمل لاختصاصها بالفعل ووجب أن يكون عملها النصب لأن أن الخفيفة تشبه أن الثقيلة و أن الثقيلة تنصب الاسم فكذلك أن هذه يجب أن تنصب الفعل وحملت لن وإذن وكي على أن وإنما حملت عليها لأنها تشبهها ووجه الشبه بينهما أن أن الخفيفة تخلص الفعل المضارع للاستقبال وهذه الحروف تخلص الفعل المضارع للاستقبال فلما اشتركا في هذا المعنى حملت عليها ويحكى عن الخليل أنه قال لا ينصب شيء من الأفعال إلا ب أن مظهرة أو مقدرة والأكثرون على خلافه وتكون أن مع الفعل بعدها بمنزلة المصدر ألا ترى أنك إذا قلت إن تفعل كذا خير لك كان التقدير فعلك كذا خير لك وما أشبه ذلك .وأما لن ففيها قولان فذهب الخليل إلى أنها مركبة من كلمتين وأصلها لا أن فحذفوا الألف من لا والهمزة من أن لكثرة الاستعمال كقولهم ويلمه وركبوا إحداهما مع الأخرى فصار لن(٢)

ومن القواعد التي أقرها في هذا الباب:

---

(١) -أسرار العربية ص٣٤٩.
(٢) -أسرار العربية ص٣٢٩.

١-يرى أنه لو كان المعتمد على المعنى وحده لوجب ألا يرتفع ما لم يسم فاعله نحو:ضُربَ زيد لعدم معنى الفاعلية وأن ينصب الاسم في نحو :مات زيد لوجود معنى المفعولية.(١)

٢-الحمل على اللفظ بعد الحمل على المعنى :وقد مثل على ذلك بقوله تعالى:"ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله رزقا"(٢)

قال في ذلك :فقال (خالدين) حملا على معنى (من) ثم قال (قد احسن الله رزقا)حملا على اللفظ بعد الحمل على المعنى.(٣)

على حين ذهب بعض العلماء إلى أن اعتبار اللفظ أكثر من اعتبار المعنى،وكثرة موارده دليل على قوته ،فلا يستقيم أن يكون قليل الموارد أقوى من كثير الموارد(٤)،والحقيقة أن ما ورد به التنزيل واستدل به أبو البركات يثبت جواز الحمل على كل واحد منهما بعد الآخر من غير ضعف.

٣-أن الألفاظ إذا أمكن حملها على ظاهرها فلا يجوز العدول بها عنه :وقد رد بهذا الأصل قول الكوفيين بأن المراد بالمصدر المفعول لا الموضع كقولهم (مركب فاره)و(مشرب عذب) أي مركوب فاره ومشروب عذب ، قال:"الظاهر يوجب أن يكون المصدر للموضع لا للمفعول فوجب حمله عليه ،وإذا أمكن حمل الألفاظ على ظاهرها فلا يجوز العدول بها عنه(٥).

٤-قد يتفق الحرفان في المعنى وإن اختلفا في العمل مثل على ذلك بلام التعليل التي جعلها الكوفيون ناصبة بنفسها لأنها قامت مقام كي وكي تنصب

---

(١) -الإنصاف ٨١/١ وأسرار العربية ص٨٨.
(٢) -الطلاق:١١.
(٣) -البيان ٣٤٤/١،٣٤٣.
(٤) -الأشباه والنظائر ١١٦/١.
(٥) -الإنصاف٢٤٣/١.

فكذلك ما قام مقامها ،يقول:"كما أنها تشتمل على معنى كي إذا كانت ناصبة فكذلك تشتمل على معنى كي إذا كانت جارة فإنه لا فرق بين كي الناصبة وكي الجارة في المعنى على أن كونها في معنى كي الناصبة لا يخرجها عن كونها حرف جر فإنه قد يتفق الحرفان في المعنى وإن اختلفا في العمل،ألا ترى أن اللام في قولك:جئت لأكرمك بمعنى كي في قولك:جئت كي أكرمك ولكي أكرمك ،وإن كانت اللام حرف جر وكي حرف نصب ولم تخرج بذلك عن كونها حرف جر.(١)

٥-الحمل على المعنى اتساع يقتصر فيه على السماع :رد به قول الكوفيين بأن علامة التأنيث إنما حذفت من نحو طالق وطامث وحائض وحامل لاختصاص المؤنث به قال:لو كان الاختصاص سببا لحذف علامة التأنيث من اسم الفاعل لوجب أن يكون ذلك سببا لحذفها من الفعل ،فيقال :المرأة طلق وطمث وحاض وحمل كما يقال :طالق وطامث وحائض وحامل ،فلما لم يجز أن تحذف علامة التأنيث من الفعل دل على أنه تعليل فاسد ،ولا يلزم هذا على قول من حمله على المعنى كأنه قال :إنسان حائض ؛لأن الحمل على المعنى اتساع يقتصر فيه على السماع والتعليل بالاختصاص ليس اتساع فينبغي ألا يقتصر فيه على السماع.(٢)

ومن ردوده على الكوفيين في هذا الباب:

---

(١) -الإنصاف ٢/٥٧٧.

(٢) -الإنصاف ٢/٧٨١.

-قال معلقا على قول الكوفيين بأن الاسم مشتق من الوسم :هذا وإن كان صحيحا من جهة المعنى إلا أنه فاسد من جهة اللفظ وأردف :وهذه الصناعة لفظية فلابد فيها من مراعاة اللفظ.(١)

-رد على الكوفيين قولهم بأن التاء حذفت من "ما قعد إلا المرأة وما قام إلا الجارية تنبها على المعنى ؛لأن التقدير ما قعد أحد إلا المرأة وما قام أحد إلا الجارية بقوله:"هذا مسلم ولكن اللفظ يدل على أن المرأة والجارية غير بدل من أحد وإن كان المعنى يدل على أنهما بدل ،كما أن اللفظ يدل على أن (شحما)في قولك :تفقأ الكبش شحما غير فاعل ،وإن كان المعنى يدل على أنه فاعل.(٢)

-رد على الكوفيين قولهم بأن (إلا)قامت مقام أستثني فينبغي أن تعمل عمله بقوله:"أن هذا يؤدي إلى إعمال معاني الحروف ،وإعمال معاني الحروف لا يجوز ،ألا ترى أنك تقول:"ما زيد قائما "فيكون صحيحا ،فلو قلت :"ما زيدا قائما "على معنى نفيت زيدا قائما لكان فاسدا.(٣)

ثانيا:الحمل على الموضع:

هو أن تعطف لفظة على الموضع الأصلي المفترض للمعطوف عليه قبل دخول العامل؛ أي أنّه عطف على أصل مقدَّر، ويخضع له العطف على ألفاظ مؤولة بمقدَّر أصيل، كالعطف على موضع ما لا ينصرف في الجرِّ، وجمع المؤنَّث السالم في حالة النصب، والعطف على الأسماء المنقوصة في الرفع والجر، والعطف على المبنيّات[٤]، ويدخل فيه أيضاً العطف على موضع اسم

---

(١) -الإنصاف ٨/١.

(٢) -الإنصاف ١١١/١ وأسرار العربيةص١٩٦.

(٣) -الإنصاف ٢٦٢/١،وأسرار العربيةص٢٠٢

(٤) - كشف المشكل في النَّحو الحيدرة اليمني ت ٥٩٩ه ص٦٣٦، الطبعة الأولى، تحقيق: هادي عطية مطر، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م

إنّ، والعطف على اسم لا النافية للجنس، والعطف على موضع المنادى، وغير ذلك من المسائل. ويدخل هذا العطف في باب الإعراب التقديري، إذ يجري فيه المعطوف على موضع المعطوف عليه المقدَّر، وليس على لفظه، وهو باب قياسي.

ومن الحمل على الموضع عنده قوله تعالى"يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم"[١]يقول:وذهب أبو عثمان المازني إلى انه يجوز فيه النصب حملا على الموضع كقولهم :يا زيد الظريفَ بالنصب حملا على الموضع.[٢]

ومنه أيضا "محدث" في قوله تعالى "وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث"[٣]،يقول:"وأجاز الفراء رفعه على النعت ل"ذكر"حملا على الموضع ؛لأن من زائدة ،و"ذكر" فاعل ،فحمل نعته على الموضع كقوله تعالى"مالكم من إله غيره"[٤]في قراءة من يقرأ بالرفع.[٥]

-ومنه أيضا قوله تعالى:"يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا "[٦]يقول:"والنصب بالعطف على موضع الجار والمجرور من قوله "من أساور"كما يجوز أن يقال مررت بزيد وعمرا."[٧]

-ومنه أيضا قوله تعالى:"ملة أبيكم إبراهيم"[٨]،يقول:"ملة منصوب على البدل من موضع الجار والمجرور وهو قوله "في الدين"؛لأن موضعه النصب بجعلنا."[٩]

---

(١) -البقرة:٢١
(٢) -البيان ٦٢/١.
(٣) -الأنبياء:٢.
(٤) -هود:٨٤.
(٥) -البيان ١٥٧/٢.
(٦) -الحج:٢٣.
(٧) -البيان ١٧٢/٢.
(٨) -الحج:٧٨.
(٩) -البيان ١٧٩/٢.

–ورد على الكوفيين زعمهم أن "ابتغاء"في قوله تعالى:"إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى"[١]يقول:"وزعم بعض الكوفيين أنه يجوز فيه الرفع على البدل من موضع "نعمة"،وهو ضعيف."[٢]

–ومنه قوله تعالى:"إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد"[٣]

ف"يوم"منصوب بالعطف على موضع الجار والمجرور وهو "في الحياة الدنيا"،كما تقول:جئتك في أمس واليوم[٤] ،وَمِنْه قَول جرير :

فالشمس طالعة لَيست بكاشفة ... تبْكِي عَلَيْك نُجُوم اللَّيْل والقمرا

نصب نُجُوم اللَّيْل والقمرا؛ لِأَن موضعهما نصب كَمَا تَقول لَا آتِيك عبَادَة النَّاس الله أَي مَا عبد النَّاس الله كاشفة يَعْنِي ظَاهِرَة يُقَال ضربه فكشف عظمه أَي أظهره.

وحَمْلُ الوصف والعطف على الموضع جائزٌ في كلامهم كما يحمل على اللفظ؛ ولهذا يجوز بالإجماع "ما جاءني من أحد غيرُك" بالرفع، كما يجوز بالجرّ، قال الله تعالى: {مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ"[٥] ، بالرفع والجر؛ فالرفع على الموضع، والجر على اللفظ[٦].

قال الشاعر:

حتى تَهَجَّرَ في الرَّوَاحِ وهَاجَهَا طَلَبَ المُعَقِّبِ حقَّه المَظْلُومُ

---

(١) -الليل:٢٠.
(٢) -البيان٢/٥١٨.
(٣) -غافر:٥١.
(٤) -البيان٢/٣٣٢.
(٥) -الأعراف :٥٩
(٦) -الإنصاف٢/٢٧٣،٢٧١.

فرفع "المظلوم" وهو صفة للمجرور الذي هو "المعقب" حملًا على الموضع؛ لأنه في موضع رفع بأنه فاعل، إلا أنه لما أضيف المصدر إليه دخله الجرّ للإضافة، وكذلك يجوز أيضًا الحملُ على الموضع في العطف نحو "مَرَرْتُ بزيد وعمرًا" كما يجوز "وعمروٍ" قال الشاعر:

فلستُ بِذِي نَيْرَبٍ في الصَّدِيقِ ... ومَنَّاعَ خَيْرٍ وسَبَّابَهَا

ولا مَنْ إذا كان في جَانِبٍ ... أضَاعَ العَشِيرَةَ فَاغْتَابَهَا(١)

وقال الآخر :

مُعَاوِيَ إِنَّنَا بَشَرٌ فَأَسْجِحْ ... فَلَسْنَا بَالجِبَالِ ولا الحَدِيدا(٢)

فنصب "الحديد" حملًا على موضع "بالجبال"(٣) لأن موضعها النصبُ بأنها خبر ليس، ومن زعم أن الرواية "ولا الحديدِ" بالخفض فقد أخطأ؛ لأن البيت الذي بعده:

أدبرُوهَا بني حربٍ عليكم ... ولا تَرْمُوا بِهَا الغَرَضَ البَعِيدَا

والرويّ المخفوض لا يكون مع الرويّ المنصوب في قصيدة واحدة؛ وقال العجاج:

كشحًا طَوَى من بَلَدٍ مُخْتَارًا ... مِنْ يَأسِهِ اليَائِسِ أو حِذَارَا

وقال الآخر:

فَإِنْ لم تَجِدْ من دون عَدنَانَ والدًا ... ودون مَعَدٍّ فَلْتَزَعْكَ العَوَاذِلُ(٤)

وقال الآخر أيضًا:

---

(١) -البيتان لعدي بن خزاعي،ورجل ذو نيرب؛ أي ذو شر ونميمة،الإنصاف١/٢٧٠

(٢) -لعقيبة بن هبيرة الأسدي يقوله لمعاوية بن أبي سفيان يشكو إليه جور عماله، الكتاب١/٣٤و٣٥٢،الإنصاف١/٢٧٠

(٣) -ينظر:الإنصاف ١/١٧١، والبيان٢/٢٢.

(٤) -البيت من الطويل للبيد بن أبي ربيعة،تزع:تكف،العواذل هنا بمعنى نوائب الدهر،ديوانه ص٨٥.

أَلَا حَيِّ نَدْمَانِي عُمَيْرَ بْنَ عَامِرٍ إذا ما تَلَاقَيْنَا مِنَ اليَوْمِ أو غَدَا(١)

فنصب "غدًا" حملًا على موضع "من اليوم" وموضعها نصب.

-ومنه قوله تعالى" فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ"(٢) ،يقول:"ويقرأ "أكنْ"بالجزم ،جزه بالعطف على موضع "فأصدق"؛لأن موضعه الجزم على جواب التمني ،وقوي الحمل على الموضع عدم ظهور الإعراب فيه،فلما لما يظهر جاز أن يجرى مجرى المطرح."(٣)

-ومنه قوله تعالى:" وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ"(٤)

يقول:"ويقرأ"يعقوب"بالفتح،وذلك لأنه معطوف على موضع قوله:بإسحاق"،وموضعه النصب كقولهم:مررت بزيد وعمرا."(٥)

-ومنه قوله تعالى:" مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ"(٦)

يقول:"ويقرأ"يذرهم"بالجزم بالعطف على موضع الفاء في"فلا هادي له"،وموضعه الجزم على جواب الشرط ،ويجوز العطف على الموضع كما يجوز على اللفظ ،قال الشاعر(٧):

فأبلوني بليّتكم لعلّي أصالِحُكم وأستدرجْ نَوَيّاً

---

(١) - البيت لكعب بن جعيل ،ينظر :الكتاب١/٣٥،والإنصاف١/١٧٢.

(٢) -المنافقون:١٠

(٣) -البيان٢/٤٤١.

(٤) -هود:٧١.

(٥) -ينظر:البيان٢/٢٢،٢١.

(٦) -الأعراف:١٨٦.

(٧) البيت لأبي داوود ،ونسب إلى الهندلي،يقال :أبلاه إذا صنع به جميلا ،والبلية:اسم منه،ونويا:يريد نواي والنوى:النية،واستدرج:أرجع أدراجي من حيث كنت،ينظر:الخصائص١/١٧٦،ومعاني القرآن للفراء وتأويل مشكل القرآن

فجزم "استدرج" بالعطف على موضع "لعلي أصالحكم"؛لأن موضعه جزم مقدر ،وقد دل عليه فعل الأمر،وهو"أبلوني"[١] والشواهد على الحمل على الموضع في الوصف والعطف أكثر من أن تُحْصَى وأوفر من أن تُستقصى، والله أعلم.

ثالثا:الحمل على التوهم

مشتقّ من معناه اللغوي؛ فالتَّوهم يعني التخيّل، وتوهَّم الشيء تخيَّله، كان في الوجود أم لم يكن، ووَهِمَ إذ غَلِط[٢]،وفي الاصطلاح "عطف قائم على التخيّل أو الظن يبيحُ للمتكلم الخروج بالكلام في إعرابه على غير وجهه الذي يقتضيه الكلام توهُّماً لوجود عامل مُتَوهَّم [٣]،ويكون اللفظ المعطوف مخالفاً للمعطوف عليه في الحركة الإعرابيّة، لتوهم دخول عامل على المعطوف عليه يقتضي العلامة الإعرابيّة للمعطوف.[٤]

والفرق بين العطف على الموضع، والعطف على التوهم، أنّ العامل في العطف على الموضع موجود، وأثره مفقود، ولكنّ العامل في العطف على التَّوهُّم مفقود، وأثره موجود".

وقد التَبَس مصطلح "الحمل على التّوهُّم"، عند كثير من العلماء ، بمصطلح "الحمل على المعنى[٥]، فذهب بعضهم إلى أن "الحمل على المعنى"، يشمل "الحمل على التّوهُّم، والحمل على الموضع"، وذهب آخرون إلى أن

---

[١] -البيان ١/ ٣٨٠.

[٢] -لسان العرب"وهم"

[٣] - معجم المصطلحات النحويّة والصرفية ،محمد اللبدي ص٢٤٦ ، الطبعة الأولى ، مؤسسة مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

[٤] - معجم مصطلحات النحو والصّرف والعروض محمد عبادة، ص٢١٢، الطبعة الأولى، دار دار المعارف، القاهرة.

[٥]- ظاهرة قياس الحمل في اللغة العربية ، عبد الفتاح البجة ، ص٢٢٥-٢٢٤دار الفكر للنشر، للنشر، عمّان.

"الحمل على التوهم" يكون في أقوال العرب وأشعارهم، وأمّا ما جاء منه في القرآن الكريم فإنه يحمل على المعنى، ولا يحمل على التّوهُّم، وذلك على سبيل التأدّب.

وهذا الالتباس قائم منذ أيام الخليل وسيبويه وحتى عصرنا الحاضر، وإنّ الحاجة تدعو إلى إعادة النظر في المصطلح النحوي القديم، والتفكير بمصطلح نحويٍّ جديدٍ، جامعٍ، مانعٍ، يكون عنوانًا شاملاً لما جاء بأقوال العرب وأشعارهم، وما ورد منه في النصوص القرآنية الكريمة، فيكون الموضوع مستقلاً، وغير مختلطٍ أو ملتبسٍ بموضوع "الحمل على المعنى".

وقد وصفه أبو حيّان[١]: بأنّه من الأمور المعهودة في كلام العرب ولكنه لا ينقاس".

وذكر الرّماني[٢]: "إن العطف على الوهم أو التّأويل: هو الحمل على معنى كلام يخالف المذكور في الإعراب، ويوافقه في المعنى".

وقد وصف أبو البركات الأنباري الشواهد بأنّها تؤول بما لا يلتفت إليه، ولا يقاس عليه، فإذا كان الأمر كذلك فلا يجوز الاحتجاج بما رووه، مع قلّته في الاستعمال وبعدِه عن القياس[٣]

ومن مسائل الحمل على التوهم عنده:

١-الحمل على توهم شيوع دخول "الباء " في خبر " ليس " و"ما " العاملة عملها، أو على توهم وجودها في خبر "كان" بشكل نادر،ومنه قول الشاعر:

بدا لي أني لست مدرك ما مضى ولا سابقٍ شيئًا إذا كان جائيًا[١]

١- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي٣٠١/٢ .

٣-الرّماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، مازن المبارك،ص ٤٣١، دار الفكر المعاصر، بيروت.

(٣)-الإنصاف١٥٧/١.

فجر "سابق" توهما أنه قال "لست بمدرك ما مضى" فعطف عليه بالجر وإن كان منصوبًا، وهذا لأن العربي قد يتكلم بالكلمة إذا استهواه ضربٌ من الغلط فيعدل عن قياس كلامه وينحرف عن سَنَنِ أصوله، وذلك مما لا يجوز القياس عليه.[٢]

ومنه أيضا قول الشاعر:

مشائيمُ ليسوا مصلحين عشيرةً ولا ناعبٍ إلا ببينٍ غُرَابُها[٣]

فجر قوله "ناعب" توهما أنه قال "ليسوا بمصلحين" فعطف عليه بالجر، وإن كان منصوبًا[٤]

وقول الشاعر:

أجِدَّكَ لست الدَّهْرَ رَائِي رَامَةٍ ولا عاقلٍ إلا وأنت جَنيبُ[٥]

ولا مُصْعِدٍ في المُصْعِدينَ لِمَنْعِجٍ ولا هَابِطٍ ما عِشْتَ هَضْبَ شَطِيْبِ

قوله "ولا مصعد" فإنه مجرور وهو معطوف على قوله "رائي رامة" المنصوب لكونه خبر ليس، وسهل ذلك أن خبر ليس يكثر دخول الباء الزائدة عليه فتجر لفظه، فكأن الشاعر بعد أن قال "لست رائي رامة" توهمهم أنه أدخل الباء فقال: لست برائي رامة، فجر المعطوف لهذا التوهم.

---

[١] - البيت لزهير في ديوانه، طبعة دار صادر، ص١٠٧، ينظر: الكتاب١/١٦٥، ونسبه سيبويه لصرمة بن الأنصاري١/٣٠٦ ، والأنباري في أسرار العربية٤٢٧، و خزانة الأدب٨/٥٥٢

[٢] -الإنصاف٢/٤٦٠

[٣] - البيت للأحوص الرياحي، ينظر:الكتاب١/٣٠٦، و الخصائص٢/٣٥٤، ج٢، ص٣٥٤، و الإنصاف٢/٤٦٠.

٤-الإنصاف٢/٤٦٠.

[٥] - لم أعثر لهذين البيتين على نسبة إلى قائل معين، ورامة وعاقل ومنعج وشطيب: أسماء أماكن بأعينها،الإنصاف١/١٥٥.

٢- الحمل على توهم إضمار حرف الجرِّ مع "أنْ المصدريّة وجعل منه قول الشاعر:

وما زُرْتُ سَلْمَى أن تكون حَبِيبَةً إِلَيَّ، ولا دَيْنٍ بها أنا طَالِبُهْ(١)

فعطف بجر "دين"(٢) على توهُّم إضمار اللام مع "أن"، والتقدير: "لأن تكون"، والمصدر المؤوّل "لكونها حبيبةً إليّ " ، "فإذا حذفت "اللام" من "أنْ تكون" فهو نصب، كما أنك لو حذفت "اللام" من "لإيلاف" كان نصبًا

ومن مواضع الحمل على التوهم عنده قول الشاعر:

فلم أرَ مثلها خُبَاسَةَ وَاجِدٍ ونَهْنَهْتُ نفسي بعد ما كِدْتُ أفْعَلَهْ (٣)

يقول :"فالجواب عنه من وجهين: أحدهما: أنه نصب "أفعله" على طريق الغلط على ما بيناه فيما تقدم، كأنه توهم أنه قال "كدت أن أفعله" لأنهم قد يستعملونها مع كاد في ضرورة الشعر(٤)

ومن المواضع التي ذكرها أبو البركات في هذا الباب :أن "ما زال" في الإثبات بمنزلة "كان"، فكما لا يقال "كان زيد إلا قائمًا" فكذلك لا يقال "ما زال زيد إلا قائمًا" فأما قول الشاعر:

حَرَاجِيجُ ما تَنْفَكُّ إلا مُنَاخَةً على الخسف أو نرمي بها بلدًا قَفْرَا(٥)

---

(١) - البيت للفرزدق في ديوانه، تحقيق: علي فاعور، ج١، ص٧٨، ينظر: الكتاب٢٩/٣،والأعلم في تحصيل عين الذهب، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ص٣٨٦، و الإنصاف٤٦٠/٢.

(٢) -الإنصاف٣٢٦/١..

(٣) - نسب لعامر بن جوين الطائي،والخباسة:الغنيمة،ينظر:الكتاب١٥٥/١والإنصاف٤٥٦/٢.

(٤) -الإنصاف٤٥٦/٢.

(٥) - البيت من كلام ذي الرمة غيلان بن عقبة، وهو من شواهد الكتاب "١/ ٤٢٨" والإنصاف١٢٧/١ و خزانة الأدب "٤/ ٤٩ بولاق" والحراجيج: جمع حرجوج، أو حرجيج وهي هنا الناقة الضامرة الهزيلة، ومناخة: اسم المفعول المؤنث من قولك "أناخ الرجل بعيره أو ناقته" إذا أبركها، والخسف -بالفتح- الجوع

فقد جعل "ما تنفك" كلمة تامة وليست ناقصة، والتي يمنع دخول إلا عليها هي الناقصة ؛ لأنك تقول "انفكت يده" فتوهم فيه التمام، ثم استثنى، وهذا الوجه رواه هشام عن الكسائي.(١)

- ومن المواضع التي ذكرها أبو البركات الأنباري الحمل على الجوار ومنه قول الشاعر:

كأنما ضربت قدام أعينها قطنا بمستحصد الأوتار محلوج(٢)

وكان يقتضي أن يقول محلوجا فخفضه على الجوار، وكقول الآخر:

كأن نسج العنكبوت المرمل (٣)

فخفض "المُرْمَلِ" على الجوار، وكان ينبغي أن يقول: "المرملا" لكونه وَصْفًا(٤)

وكقولهم جحر ضب خرب وما أشبه ذلك وهذا ليس بصحيح لأن الحمل على الجوار قليل يقتصر فيه على السماع ولا يقاس عليه لقلته(٥)

- ومما ذكره أيضا الحمل على الضد يقول:"وأما لا في النهي فإنما وجب أن تعمل الجزم حملا على الأمر لأن الأمر ضد النهي وهم يحملون الشيء على ضده كما يحملونه على نظيره ولما كان الأمر مبنيا على الوقف وقد وجب حمل النهي عليه جعل النهي نظيرا له في اللفظ وإن كان أحدهما جزما والآخر وقفا على ما بينا فلهذا وجب أن تعمل الجزم (٦)

---

(١) -الإنصاف١٢٧/١.

(٢) -البيت من البسيط بلا نسبة في معاني القرآن للفراء٧٤/٢.،والإنصاف٤٩٥/٢.

(٣) -من الرجز المشطور، نسبه سيبويه إلى العجاج،الكتاب٢١٧/١والخصائص٢٢١،والإنصاف ٤٩٥/٢.

(٤) -الإنصاف٤٩٥/٢.

(٥) -أسرار العربية ص ٣٣٨ والإنصاف ٧٧/١.

(٦) -أسرار العربية ص٣٣٤.

التضمين لغةً مصدر قياسي على زنة تفعيل من الفعل (ضَمَّن) ، وتدل مادة (الضاد والميم والنون) على معنى : " جَعْل الشيء في شيءٍ يحويه . من ذلك قولهم : ضَمَّنتُ الشيء ، إذا جعلتُه في وعائه " (١)،والكفالة تسمّى ضمانا من هذا، لأنّه إذا ضمنه فقد استوعب ذمته"، "ورجل ضمن، وقوم ضمنى وهو من الضّمان، ومعناه لزم مكانه كما يلزم الكفيل العهدة أو لزم علّته، "وضمّنته الشّيء تضمينا فتضمّنه يعني غرمته فالتزمه(٢) ، ورجل مضمون اليدّ مخبولها"، "وفهمت ما تضمّنه كتابك أي ما اشتمل عليه، وكان ضمنه وأنفذته ضمن كتابي أي في طيّه"، "وضمّن الشّيء الشّيء: أودعه إيّاه كما تودع الوعاء المتاع، والميّت القبر"(٣)

وفي المصباح : " (ضَمَّنتُ) الشيءَ كذا جَعَلْتُه محتويًا عليه (فَتَضَمَّنَهُ) أي فاشتمل عليه واحتوى " (٤) ،ومن هذا يعلم أن التضمين في اللغة : اشتمال شيء على شيء ، واحتواؤه عليه .

وهو في اصطلاح النحاة: يدور حول المعنى اللغوي، إذ يعرفه الرّماني (ت ٣٨٤ هـ) بقوله: "تضمين الكلام هو حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم أو صفة هي عبارة عنه"، ويضع الرّماني التّضمين على نوعين: "ما كان يدلّ عليه الكلام دلالة الأخبار، وما يدلّ عليه دلالة القياس"(٥)

---

(١)-معجم المقاييس في اللغة لابن فارس . مادة (ضمن)٦٠٣/٦ ، ط. دار الفكر .

(٢) -لسان العرب "ضمن١٣"/٢٥٧،والقاموس المحيط٢٤٥/٤.

(٣) -لسان العرب٢٥٧/١٣،"ضمن"

(٤)-المصباح المنير للفيومي -٤٩٨/٢مادة (ضمن) ،وزارة المعارف العمومية،الطبعة الخامسة،المطبعة الأميرية بالقاهرة.

(٥) -ينظر:ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي والجرجاني،ص١٠٢تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام،دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة.

أما ابن هشام فيعرفه بقوله:"قد يشربون لفظا معنى لفظ آخر فيعطونه حكمه" (١)، ويقول الأشموني: "إشراب اللفظ معنى لفظ آخر، وإعطاؤه حكمه لتصير الكلمة تؤدي مؤدى الكلمتين" ويرى الصبان أن الأولى أن يقال: "التضمين إلحاق مادة بأخرى في التعدي واللزوم،لتناسب بينهما أو اتحاد."[٢]

و عن فائدته يقول ابن هشام : "وفائدة التّضمين أن يدلّ بكلمة واحدة على معنى كلمتين يدلك على ذلك أسماء الشّرط، والاستفهام، ونظيره أيضا قوله عليه الصّلاة والسّلام: "كلّ مولود يولد على الفطرة حتّى يكون أبواه هما اللذان يهوّدانه أو ينصّرانه"، لا يجوز أن تعلق حتّى يولد لأنّ الولادة لا تستمر إلى هذه الغاية، بل الّذي يستمر إليها كونه على الفطرة، فالصّواب تعليقهما بما تعلقت به "على"، وأنّ "على" متعلقة بكائن محذوف منصوب على الحال من الضّمير في يولد، ويولد خبر كان"[٣]

وأثره إفادة اللغة تيسيرا واتساعا من أخصر طريق وأوجزه ،فتؤدي كلمة واحدة مؤدى كلمتين فيكون في ذلك جمع بين الحقيقة والمجاز لدلالة المذكور على معناه بنفسه وعلى معنى المحذوف بالقرينة.(٤)

فالتضمين إذا أن يؤدي فعل معنى فعل آخر، فيعطى حكمه في التعدية واللزوم، فإذا وجدنا فعلاً لازماً قد عدّاه الكاتب بنفسه، كان معنى هذا أنه استخدم الفعل اللازم بمعنى فعل متعدٍ يؤدي معناه، وأمثلة ذلك كثيرة، منها: "لا تعزموا السفر" فقد عُدِّي الفعل «تعزموا» إلى المفعول به مباشرة، مع أن هذا الفعل لازم لا يتعدى إلا بحرف الجر؛ إذ يقال في الأصل: أنت تعزم على السفر، وإنما وقعت تعديته بسبب تضمينه معنى الفعل المتعدي «تنوي» فمعنى

---

(١) -مغني اللبيب ٦٢٠/٢.
(٢) -حاشية الصبان على شرح الأشموني٤٤٦/١.
(٣) -مغني اللبيب ٢ /٦٢٠
(٤) -حاشية ياسين ٤،٥/٢ ،دار الفكر بيروت.

لا تعزمـــــــــــــوا :لا تنـــــــــــــووا الســـــــــــــفر .

. ومن أمثلة جعل المتعدي لازماً «سمع الله لمن حمده» فالفعل سمع في أصله متعد بنفسه، ولكنه هنا تضمن معنى «استجاب» الذي يتعدى باللام . وحقيقة إذا جئنا إلى الأفعال المتعدية واللازمة وجدنا أن هذه الأفعال قد يحدث لها من ملابسات الاستخدام وظروف الاستعمال ما يبعد بها قليلاً أو كثيراً عن معناها الأساسي الذي وضعت له، وذلك راجع إلى حاجة اللغة إلى التوسع .

وقد اختلف الأقدمون في حقيقة التضمين من حيث كونه حقيقة، أو أنه خروج عن الحقيقة إلى غيرها، توسعاً أو مجازاً، ونستطيع أن نخلص إلى مذاهب ثلاثة في الموضوع :

المذهب الأول: يقرر أن المادة المتضمنة قد استخدمت على الوجه الحقيقي، مع قطع الصلة بينها وبين الأصل كالزمخشري[١]

والمذهب الثاني: يقرر أن المادة قد استخدمت على الوجه المجازي مع القرينة الدالة، كابن السيد البطليوسي في قوله: "اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدى بحرف جر، والثاني بحرف جر آخر، فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع الآخر، مجازا وإيذانا بأن هذا الفعل في معنى الآخر"[٢] .

والمذهب الثالث: يجمع بين المذهبين، فيقرر أن المادة مستخدمة على الحقيقة و المجاز في آن واحد كالعز بن عبد السلام في كتابه مجاز القرآن .

وكما اختلفوا فيه بين الحقيقة والمجاز، تنازعوا كذلك في قياسية التضمين من عدمها على ثلاثة مذاهب:

---

[١] -الكشاف٢/٤٨١

[٢] -ينظر:خزانة الأدب ٣/٤٨٨.

فريق يرى أن التضمين سماعي لا قياسي، وإنما يلجأ إليه عند الضرورة، أما إن أمكن إجراء اللفظ على مدلوله فهو أولى. وذهب فريق ثان: إلى القول بإطلاق القياس في التضمين دون قيود. وتوسط فريق ثالث: فأجاز التضمين في الأفعال بشروط ثلاثة:(١)

أ- تحقق المناسبة بين الفعلين.

ب-وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر، ويؤمن معها اللبس.

ج-ملاءمة التضمين للذوق العربي.

وللدكتور الشمسان رأي جدير بالاعتبار ؛إذ إنه لا يرى أن التضمين مما يوصف بالقياسي أو السماعي ؛لأنه ليس قاعدة ولا قانونا يقول:"وأنكرت قياسية التضمين لا لأنه سماعي ،بل لأنه ليس مما يوصف بأنه قياسي أو سماعي ،والسبب أنه ليس قاعدة لغوية وليس قانونا لغويا ،وإنما هو وسيلة تفسير مثل المجاز ،والقياسي والسماعي والتجريد ،كل هذه المصطلحات تدل على طريقة التفكير التي يسلكها المنتج"(٢)

وقد أنكر احد الباحثين التضمين إنكارا شديدا ،ويرى إنه لا أساس له،يقول:"ويبدو لي ان مسألة التضمين لا أساس لها ؛لأنه لا دليل عليها ،ولا حجة لأصحابها ،وأحسب أن ما اندرج تحتها من شواهد ،يؤول إلى جهة من جهتين :إما أن تكون هذه الشواهد مقحمة في باب التضمين إقحاما ،وإما أن تندرج تحت مبحث دلالة الألفاظ"(٣)

---

(١) -ينظر: النحو الوافي عباس حسن ٥٩٤/٢،دار المعارف القاهرة ،الطبعة التاسعة١٩٨٧م.،ومجلة مجمع القاهرة ،المجلد الأول ص١٨٠.

(٢) -قضايا التعدي واللزوم ،أبو أوس إبراهيم الشمسان ص١٦٨،جدة ،دار المدني ١٤٠٧هـ-١٩٨٧و.

(٣) -هو الدكتور محمد حسن عواد في كتابه تناوب حروف الجر في لغة القرآن ص٥٨.

وما ادعاه غير صحيح ،فكيف يكون لا أساس لها ،وقد أثبتها كبار النحويين واللغويين ،وحشدوا لها أمثلة وشواهد قرآنية وشعرية؟

وهو يرد على نفسه بقوله :"مقحمة في باب التضمين؛إذ إنه بقوله هذا يثبت أن باب التضمين ابت معروف ،وقوله إن شواهد التضمين مدرجة في مبحث دلالة الألفاظ لا ينفي التضمين بقدر ما يثبته ؛لأن التضمين ما هو إلا دلالة جديدة للفعل بمضامة حرف جر ليس من عادته أن يضامه.

والتضمين نوع من الاتساع في العربية يؤدي إلى معان توضح التراكيب والألفاظ والحروف،ومن يتعصب في قواعد اللغة، ويبقى مقدساً للقديم ،فيلزم نفسه بأن هذا الفعل لا يتعدى إلا بهذا الحرف ولا يتعدى بغيره، فهو بذلك يقيّد نفسه ويحبسها، فاللغة واسعة ومتغيرة من عصر إلى عصر، فهي خاضعة للتطور.

والتضمين: غالبا يقع في ثلاثة أبواب نحوية هي: باب الأسماء المبنية، و باب التعدي واللزوم، و باب حروف المعاني.

التضمين في الأسماء المبنية:

قسم النحاة الأسماء إلى أسماء معربة ،وهذا هو الأصل فيها ،فلا يسأل عن علته،وأسماء مبنية جاءت على خلاف الأصل ،وما كان مخالفا لأصله فلا بد له من علة ،وقد جمع ابن مالك علل البناء في الأسماء في قوله[1]:

والاسم منه معرب ومبني	**لشبه من الحروف مدني**
كالشبه الوضعي في اسمي جئتنا	**والمعنوي في متى وفي هنا**
وكنيابة عن الفعل بلا	**تأثر وكافتقار أصلا**

[1] -ينظر الألفية ص١٠،منشورات محمد على بيضون ،دار الكتب العلمية.

وقد أرجع أبو البركات الأنباري السبب في تفسير كثير من هذه المبنيات إلى التضمين وبيانها كالأتي:

-أسماء الإشارة: وأسماء الإشارة كذا وذي وهؤلاء فإنها مبنية لشبهها بالحرف في المعنى،لأنها ضمنت معنى حقه أن يؤدي بالحرف شلنه شأن بقية المعاني كالنفي والاستفهام والشرط وغيرها ،ولكن لم يرد عن العرب استعمال حرف لمعنى الإشارة ،يقول أبو البركات الأنباري معللا بناء(هؤلاء):"وأما هؤلاء فإنما بنيت لتضمنها معنى حرف الإشارة وغن لم ينطق به ؛لأن الأصل في الإشارة أن تكون بالحرف كالشرط والنفي والتمني والعطف إلى غير ذلك من المعاني ،إلا أنهم لما لم يفعلوا ذلك ضمنوا "هؤلاء "معنى حرف الإشارة فبنوها.[1]

-أسماء الشرط:أم الأدوات في هذا الباب "إن"وما عداها فرع عليها ،والفرع لا بدأن يتضمن معنى الأصل ،وقد علل النحاة بناء أسماء الشرط بتضمنها لمعنى حرف الشرط"إن"،يقول أبو البركات الأنباري:" فأما "من"فإنها بنيت ؛لأنها لا تخلو إما أن تكون استفهامية أو شرطية أو اسما موصولا أو نكرة موصوفة ،فإن كانت استفهامية فقد تضمنت معنى حرف الاستفهام ،وإن كانت شرطية تمنت معنى حرف الشرط"[2]

-الظروف : ينقسم الظرف من حيث إعرابه وبنائه إلى قسمين :

١ . ظروف معربة . ٢ . ظروف مبنية .

والغالب في الظروف أنها معربة ، تتغير حركة إعرابها بتغيير موقعها من الجملة ، غير أن القليل منها يكون مبنيا . منه ما هو للزمان ، ومنه ما هو للمكان ، ومنه ما هو مشترك .

---

[1] -أسرار العربية ص٥٠.

[2] -أسرار العربيةص٤٩.

فمن ظروف الزمان المبنى : إذا ، إذ ، متى ، أيان ، مذ ومنذ ، بينا وبينما ، أمس ، الآن ، حين ، ريث وريثما ، عوض ، لمّا ، كيف وكيفما .

والمركبات منها : صباح مساء ، أي : كل صباح ، وكل مساء ، وليل ليل ، أي :

كل ليل ، ونهار نهار ، أي : كل نهار ، ويوم يوم ، أي : كل يوم ، ومن ظروف المكان المبنية : حيث ، هنا ، ثَمَّ ، أين

وقد أرجع أبو البركات السبب في بناء بعض الظروف إلى التضمين من ذلك:

١-يقول في سبب بناء مذ ومنذ:"فإن قيل :فلم بنيت "مذ ومنذ"قيل:لأنهما إذا كانا حرفين بنيا ؛لأن الحروف كلها مبنية ،وإذا كانا اسمين بنيا لتضمنهما معنى الحرف؛لأنك إذا قلت:ما رأيته مذ يومان ومنذ ليلتان ،كان المعنى فيه:ما رأيته من أول اليومين إلى أخرهما ،ومن أول الليلتين إلى أخرهما؛ولما تضمنا معنى الحروف وجب أن يبنيا"[١]

٢-ويقول في علة بناء"الآن" ومنهم من قال، وهو أبو علي الفارسي: إنما بني لأنه حذف منه الألف واللام وضمن الاسم معناهما، وزيدت فيه ألف ولام أُخْرَيان.[٢]

٣-ويقول في علة بناء"إذ":"إذ ظرف زمان ماض وهو مبني :لتضمنه معنى الحرف ؛لأن كل ظرف لا بد فيه من تقدير حرف وهو"في"ألا ترى أنك تقول :صمت يوما وقمت ليلة أي في اليوم وفي الليلة ،فلما لم يجز هاهنا فيه

---

[١] -أسرار العربية ص٢٤٥.

[٢] -الإنصاف ٤٢٦/٢.

تقدير "في"صار كأنه قد تضمن معنى الحرف والاسم إذا تضمن معنى الحرف وجب أن يكون مبنيا" [١]

-وقال في علة بناء لما:"لما ظرف زمان مبني وبني لوجهين:أحدهما لأنه أشبه الحرف ؛لأنه يفيد مع كلمة واحدة ،كما أن الحرف كذلك ،والحرف مبني فكذلك ما أشبهه"[٢]،وقال الكلام نفسه في علة بناء إذا.[٣]

-ويقول في علة بناء "ثم":"وثم مبني على الفتح ،وإنما بني لوجهين:أحدهما أن يكون بني ؛لتضمنه لا التعريف ؛لأن ثم معرفة.

والثاني:أن يكون بني ؛لأنه تضمن معنى الإشارة ،والأصل في الإشارة أن يكون الحرف ،فكأنه تضمن معنى الحرف وجب أن يبنى ،وبني على حركة لالتقاء الساكنين ،وكانت الحركة فتحة ؛لأنها أخف الحركات."[٤]

- أسماء الاستفهام :وأسماء الاستفهام مبنية فيحكم على ألفاظها بأنها مبنية على الحركة التي تكون على آخرها أصالة ، ويحكم على محلها بحسب موقعها ما عدا "أي"

وفي علة بنائها يقول أبو البركات:"وأما "أين و"كيف"فإنما بنيا على الفتح ؛لأنهما تضمنا معنى حرف الاستفهام ؛لأن أين سؤال عن المكان ،وكيف سؤال عن الحال ،فلما تضمنا معنى حرف الاستفهام وجب أن يبنيا"[٥]

ويقول أيضا:"إنما بني أيان لتضمنه معنى حرف الاستفهام ؛لأنه بمعنى"متى"وكما أن "متى"مبني لتضمنه حرف الاستفهام وكذلك "أيان"،وبني

---

[١] -ينظر:البيان في غريب إعراب القرآن١/٦٩.
[٢] -البيان١/١٠٧.
[٣] -البيان١/٥٥.
[٤] -البيان٢/٤٨٣.
[٥] -أسرار العربية ص٥١.

على حركة لالتقاء الساكنين ،وهما الألف والنون ،وكانت الفتحة أولى ؛لأنها أخف الحركات."[١]

-الأسماء المركبة: المركَّب العددي :وهو كلُّ عددين رُكِّبا من العشرة والنَّيِّف، وبينهما حرفُ عطفٍ مقدَّر، ويشمل الأعدادَ من "أحد عشر" إلى "تسعة عشر"، وما صيغ منها على وزن فاعل من "الحادي عشر" إلى "التاسع عشر "وهي مبنية على فتح الجزأين،ولعلة التي كانت سببا في بناء هذه الأسماء المركبة هي التضمين،يقول أبو البركات:"فإن قيل :فلم بني ما زاد على العشرة من أحد عشر إلى تسعة عشر،قيل:لأن الأصل في أحد عشر:أحد وعشر ،فلما حذف حرف العطف وهي الواو ضمنا معنى حرف العطف ،فلما تضمنا معنى الحرف وجب أن يبنيا وبنيا على حركة لأن لهما حالة تمكن قبل البناء ،وكان الفتح أولى ؛لأنه أخف الحركات وكذلك سائرها.(٢)

ويقول أيضا:"إنما بني "تسعة عشر"؛لأنه تضمن معنى الحرف وهو واو العطف ؛لأن الأصل فيه "تسعة وعشر"إلا أنه لما حذفت الواو تضمنا معنى الحرف،فوجب أن يبنيا ،وبنيا على حركة تمييزا لهما عما بني وليس له حالة إعراب "[٣]

أسماء الأفعال: أَسماءُ الأَفعال كلها مبنية على ما سمعت عليه، ملازمة حالة واحدة في الإفراد والجمع والتذكير والتأْنيث، إلا همزة (هاء) وما اتصل بكاف خطاب فيتصرفان، تقول: هاءَ، هاءَا، هاؤُم، هائي، هاؤُنَّ، عليك نفسك، عليكما أنفسكما، عليكم أنفسكم، عليكن أنفسكن .....

---

[١] -البيان٢/٤٧٦.
[٢] -أسرار العربيةص٢٢١.
[٣] -ينظر :البيان٢/٤٧٤.

ويقول أيضا:" نقول: إنما بني نزال لتضمنه معنى لام الأمر، ألا ترى أن نزال اسم انْزِلْ، وأصله لتنزل، فلما تضمن معنى اللام كتضمن أين معنى حرف الاستفهام، وكما أن أين بنيت لتضمنها معنى حرف الاستفهام؛ فكذلك بنيت نزال لتضمنها معنى اللام.[١]

-المثنى والجمع:اختلف النحاة في إعراب المثنى والجمع، فذهب الكوفيُّون إلى أن الألف والواو والياء في التثنية والجمع بمنزلة الفتحة والضمة والكسرة في أنها إعراب، وذهب البصريّون إلى أنها حروف إعراب. وذهب أبو الحسن الأخفش وأبو العباس المبرّد وأبو عثمان المازني إلى أنها ليست بإعراب ولا حروف إعراب، ولكنها تدل على الإعراب، وذهب أبو عمر الجَرْمِي إلى أن انقلابها هو الإعراب، وحُكي عن أبي إسحاق الزجاج أن التثنية والجمع مبنيان، وهو خلاف الإجماع[٢].

وقد حاول العلماء إيجاد علة للقول الأخير المحكي عن الزجاج ومنهم أبو البركات الذي أرجع السبب في البناء إلى تضمين حرف العطف،يقول:" وأما مَنْ ذهب إلى أنهما مبنيان فقال: إنما قلت ذلك لأن هذه الحروف زيدت على بناء المفرد في التثنية والجمع، فنزِّلا منزلة ما ركب من الاسمين نحو "خَمْسَةَ عَشَرَ" وما أشبهه.

ثم بين فساد هذا الرأي بقوله:"وهذا القول أيضًا يفسد من وجهين؛ أحدهما: أن التثنية والجمع وضعًا على هذه الصيغة لأن يَدُلَّا على معنييهما من التثنية والجمع، وإنما يفرد المفرد في الحكم لوجود لفظه، وإذا كان كذلك لم يجرِ أن يُشَبَّهَا بما ركب من شيئين منفصلين كخمسة عشر وما أشبهه، والوجه الثاني: أنهما لو كانا مبنيين لكان يجب أن لا يختلف آخرهما باختلاف

---

[١] -الإنصاف٢/٤٣٤.
[٢] -الإنصاف١/٢٩.

العوامل فيهما؛ لأن المبني ما لا يختلف آخره باختلاف العوامل فيه، فلما اختلف ههنا آخر التثنية والجمع باختلاف العوامل فيهما دلّ على أنهما معربان لا مبنيان".[١]

أفعل التفضيل المجرد أو المضاف لنكرة يلزم التذكير والوحدة :

ويلزم أفعل التفضيل المجرد الإفراد والتذكير، وكذلك المضاف إلى نكرة، وإلى هذا أشار ابن مالك بقوله:

وإن لمنكور يضف أو جردا ألزم تذكيراً وأن يوحدا[٢]

فتقول: زيد أفضل من عمرو وأفضل رجل، وهند أفضل من عمرو وأفضل امرأة، والزيدان أفضل من عمرو وأفضل رجلين، والهندان أفضل من عمرو وأفضل امرأتين، والزيدون أفضل من عمرو وأفضل رجال، والهندات أفضل من عمرو وأفضل نساء، فيكون أفعل في هاتين الحالتين مذكراً ومفرداً، ولا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع.[٣]

و في علة عدم تأنيث أفعل التفضيل وتثنيته وجمعه يقول أبو البركات: "إنما لم يثنَّ ولم يجمع ولم يؤنث لثلاثة أوجه: الوجه الأول: أنه لم يثنَّ ولم يجمع ولم يؤنث لأنه تضمن معنى المصدر؛ لأنك إذا قلت "زيد أفضل منك" كان معناه فضل زيد يزيد على فضلك؛ فجعل موضع يزيد فضله أفضل، فتضمن معنى المصدر والفعل معا، والفعل والمصدر مذكران، ولا تدخلهما تثنية ولا جمع، فكذلك ما تضمنهما ولم يجز تأنيثه لما

---

[١] -الإنصاف ٣١/١

[٢] -الألفية ص٣٨.

[٣] -ينظر شرح ابن عقيل ٢ /١٧٦،١٧٨،تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد،دار إحياء التراث العربي،بيروت،لبنان الطبعة الثانية.

ذكرنا من تضمنه معنى المصدر، والمصدر مذكر، ثم على أصلكم إنما وُحِّد "أفعل" لأنه جرى مجرى الفعل؛ ولهذا كانت إضافته غير حقيقية"[1]

– اسم لا النافية للجنس المفرد: وهو الاسم الذي لا يكون مضافا ، ولا شبيها بالمضاف ، ويكون مبنيا دائما في محل نصب . نحو : لا خائن محبوب و في علة بناء اسم "لا"المفرد النكرة وهو رأي البصريين يقول أبو البركات:" وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إنه مبنيٌّ على الفتح لأن الأصل في قولك "لا رجل في الدار؟ " لا مِنْ رجل في الدار؛ لأنه جواب من قال "هل من رجل في الدار؟ " فلما حذفت "من" من اللفظ وركبت مع لا تضمنت معنى الحرف فوجب أن تُبْنَى، وإنما بنيت على حركة لأن لها حالة تمكنٍ قبل البناء، وبنيت على الفتح لأنه أخفّ الحركات. (٢)

– تقديم معمول اسم الفعل عليه :

وقال في علة تقديم معمول اسم الفعل عليه وهو مذهب الكسائي وجماعة من الكوفيين وبَنَوْا على قاعدة حاصلها أنه يجوز تقديم معمول اسم الفعل عليه، حملًا على الفعل؛ لأن اسم الفعل إنما عمل لكونه تضمن معنى الفعل، والفعل يجوز تقديم معموله عليه، ومن تمام حمل اسم الفعل على الفعل أن يجوز في اسم الفعل ما جاز في الفعل:" وأما القياس فقالوا: أجمعنا على أن هذه الألفاظ قامت مقام الفعل، ألا ترى أنك إذا قلت "عليك زيدًا" أي الزم زيدًا، وإذا قلت "عندك عمرا" أن تناول عمرا، وإذا قلت "دونك بكرا" أي خذ بكرًا، ولو

---

(١) ـ الإنصاف٢/٤٠١،٤٠٢.

(٢) ـالإنصاف ٣٠٣/١.

قلت "زيدًا الزم، وعمرًا تناول، وبكرًا خذ" فقدمت المفعول لكان جائزًا، فكذلك مع ما قام مقامه.(١)

-علة فتح آخر أفعل في التعجب :وقال رادا على الكوفيين قولهم : إنما فتح آخر أفعل في التعجب لأنه مبني لتضمنه معنى حرف التعجب؛ لأن التعجب كان يجب أن يكون له حرف كغيره من الاستفهام والشرط والنفي والنهي والتمني والترجي والتعريف والنداء والعطف والتشبيه والاستثناء، إلى غير ذلك؛ إلا أنهم لما لم ينطقوا بحرف التعجب وضمّنوا معناه هذا الكلام استحقَّ البناء، ونظير هذا أسماء الإشارة؛ فإنها بنيت لتضمنها معنى حرف الإشارة، وإن لم ينطق به فكذلك ههنا.

قال:" وأما قولهم "إنه بني لتضمنه معنى حرف التعجب وإن لم ينطق به"؛ فكذلك نقول: كان يجب أن يوضع له حرف كما وضع لغيره من المعاني، ولكن لما لم يفعلوا ذلك ضمّنوا "ما"معنًى حرفه فبنوها، كما ضمّنوا "ما" الاستفهامية معنًى الهمزة، وضمّنوا "ما" الشرطية معنى أن التي وضعت للشرط، وبنوهما وإن لم يكن للكلمة التي بعدهما تعلق بالبناء؛ فكذلك ما بعد "ما" التعجبية لا يكون له تعلق بالبناء، فبان بذلك فساد اعتراضهم، وأنه إنما فتح لأنه فعل ماضٍ على ما بيَّنَّا.(٢)

-تحمل خبر المبتدأ ضميرا يرجع إلى المبتدأ:

رد أبو البركات على الكوفيين مذهبهم في تحمل خبر المبتدأ إذا كان اسمًا محضًا ضميرًا يرجع إلى المبتدأ، نحو "زيد أخوك، وعمرو غُلَامُكَ" وحجتهم في ذلك أنه في معنى ما هو صفة، ألا ترى أن قولك "زيد أخوك" في معنى زيد قريبك، و"عمرو غلامك" في معنى عمرو خادمك، وقريبك وخادمك

---

(١) -الإنصاف١/١٨٥.
(٢) -الإنصاف١/١١٢.

يتضمن كل واحد منهما الضمير، فلما كان خبر المبتدأ ههنا في معنى ما يتحمل الضمير وجب أن يكون فيه ضمير يرجع إلى المبتدأ.

فقال معللا" وأما الجواب عن كلمات الكوفيين: قولهم "إنما قلنا إنه يتضمن الضمير وإن كان اسمًا محضًا لأنه في معنى ما يتضمن الضمير لأن أخوك في معنى قريبك، وغلامك في معنى خادمك" قلنا: هذا فاسد؛ لأنه إنما جاز أن يكون قريبك وخادمك متحملا للضمير لأنه يشابه الفعل لفظًا ويتضمنه معنًى، وهو الأصل في تحمل الضمائر، ولا شُبْهَةَ في مشابهة اسم الفاعل والصفة المشبهة به للفعل، ألا ترى أن "خَادِم" على وزن "يَخْدم" في حركته وسكونه وأن فيه حروف خدَمَ الذي هو الفعل، وكذلك "قريب" فيه حروف قَرُبَ الذي هو الفعل؛ فجاز أن يتضمن الضمير، فأما أخوك وغلامك فلا شبهة في أنه لا مشابهة بينه وبين الفعل بحالٍ، فينبغي أن لا يتحمل الضمير، وكونه في معنى ما يشبه الفعل لا يوجب شبهًا بالفعل، ألا ترى أن حروف "أخوك، وغلامك" عارية من حروف الفعل الذي هو قَرُبَ وخَدَمَ؛ فينبغي أن لا يتحمل الضمير"(١)

-منع التصرف في بعض المشتقات:

كل ما تضمن ما ليس له في الأصل منع شيئا مما له في الأصل؛ليكون ذلك المنع دليلا على ما تضمنه[٢]؛لذلك علل أبو البركات عدم تصرف فعل التعجب بقوله: "وإنما لم يتصرف فعل التعجب لوجهين أحدهما:أنهم لما لم يصوغوا للتعجب حرفا يدل عليه جعلوا له صيغة لا تختلف لتكون دلالة على المعنى الذي أرادوه وأنه مضمن معنى ليس في أصله ،والوجه الثاني:إنما لم يتصرف ؛لأن الفعل المضارع يصلح للحال والاستقبال والتعجب إنما يكون مما

---

(١) -الإنصاف١/٤٩،٤٨.

(٢) -الأشباه والنظائر ١/٢٥١.

هو موجود في الحال أو كان فيما مضى ،ولا يكون التعجب مما لم يقع ،فلما كان المضارع يصلح للحال والاستقبال كرهو أن يصرفوه إلى صيغة تحتمل الاستقبال الذي لا يقع التعجب منه."[١]

-يقول في قوله تعالى :"لا يسمعون إلى الملأ الأعلى" أتى ب(إلى) وإن كان يسمعون لا يفتقر إلى حرف جر أن يكون حمل "يسمعون"على "يصغون"؛لأنه في معناه ،فكما يقال يصغون إليه فكذلك يقال يسمعون إليه.[٢]

فالأصل في الفعل"سمع"أن يتعدى بنفسه ؛ليدل على المعنى المقصود المشهور ،وهو السماع كقوله تعالى:"يوم يسمعون الصيحة"[٣]،وإن ضمن الفعل معنى إضافيا عدي بحرف مناسب للمعنى المضمن.

- ويقول:"قول العرب: "تمسحت للصلاة" أي توضأت، والوضوء يشتمل على ممسوح ومغسول، والسر في ذلك أن المتوضئ لا يقنع بصب الماء على الأعضاء حتى يمسحها مع الغسل؛ فلذلك سمي الغسل مسحًا، فالرأس والرجل ممسوحان، إلا أن المسح في الرجل المراد به الغسل لبيان السنة، ولولا ذلك لكان محتملًا"[٤]

-ويجعل نصب"عقدة"في قوله تعالى:"ولا تعزموا عقدة النكاح" من باب التضمين،يقول:"وعقدة النكاح في نصبه وجهان:..والثاني أن يكون منصوبا على المصدر بمعنى تعقدوا عقدة النكاح"[٥]

ويقول في قول الشاعر:

فَعَلَا فروع الأيْهُقَانِ وأطْفَلَتْ ... بالجَلْهَتَيْنِ ظِبَاؤُهَا ونَعَامُهَا(١)

---

(١) -أسرار العربيةص١١٦.
(٢) -البيان٣٠٣/٢.
(٣) -ق:٤٢
(٤) -الإنصاف ٤٩٩/٢.
(٥) -البيان١٦١/١.

فعطف نعامها على ظباؤها، والنعام لا تُطْفِلُ، وإنما تَبِيضُ[٢]

ويكون الفعل الذي عمل في المعطوف عليه هو العامل في المعطوف، وأهل العربية لا يقولون "أطفلت النعامة "، وقد توسع الشاعر في معنى "أطفلت" فصيره كقولك "أنتجت" وما يؤدي مؤداه، وحينئذ يصح تسلطه على كل واحد من المعطوف والمعطوف عليه.

- وقال في قول الشاعر:

علفتها تبنًا وماء باردًا ... حتى شَتَتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا[٣]

والأمر الثاني: أن تضمن علفتها معنى فعل يصح أن تسلطه على المعطوف والمعطوف عليه جميعًا مثل أنلتها أو قدمت لها أو ما أشبه هذين، ونظير هذا البيت قول الشاعر:

أعمرو بن هند ما ترى رأي صرمة لها سبب ترعى به الماء والشجر[٤]

فإن ظاهره غير صحيح لأنه يقال: رعت الماشية الشجر، ولا يقال: رعت الماء، وإنما يقال: شربت الماء، ومن أجل هذا يجب أن تقدر فعلا يعمل في الماء؛ وكأنه قد قال: لها سبب تشرب به الماء وترعى الشجر، وإما أن تضمن ترعى معنى فعل يصح تسلطه على المعطوف والمعطوف عليه جميعا مثل تتناول.(٥)

---

(١) -البيت من الكامل للبيد بن أبي ربيعة،الأيهقان:جرجير البر،أطفلت :ولدت وصار لها ولدان ،الجهلتان:جانبا الوادي،ينظر ديوانه ص١٠٧ ،حمدو طماس،دار المعرفة،بيروت،الطبعة الأولى١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

(٢) -الإنصاف٢/٥٠٠.

(٣) -البيت من الرجز ينسب لذي الرمة ،وليس في ديوانه،شتت:بدت ،همالة:صيغة مبالغة من قولهم:هملت العين بالدمع،ينظر:الخصائص ٢/٤٣١،والإنصاف٢/٥٠٠،و أوضح المسالك ٢/٢٤٨.و الأشباه والنظائر٢/١٠٨،والتصريح ١/٣٤٦.

(٤) -البيت من طرفة بن العبد البكري.

(٥) -الإنصاف١/٥٠١.

-ومن صور التضمين التي ذكرها أبو البركات قوله تعالى:"هنالك دعا زكريا ربه"هنالك ظرف زمان وهويتعلق بدع أي دعا زكريا في ذلك الوقت ،وأصلها أن يكون ظرف مكان ،وإنما اتسع فيها فاستعملت للزمان كما استعملت للمكان ،ويحمل على أحدهما بدلالة الحال.[١]

الفصل الرابع
التَّوسُّع في نيابة حروف الجر بعضها عن بعض

الحرف كلمة تدل على معنى في غيرها فقط(٢) ، يقول ابن يعيش: " قولنا دلت على معنى في غيرها فقد ميزه من الاسم والفعل ، إذ معنى الاسم والفعل في أنفسهما ، ومعنى الحرف في غيره "(٣)، ويعرف بأنه: "ما وضع لاقتضاء الفعل أو معناه إلى ما يليه، نحو: مررتُ بزيدٍ، وأنا مارٌّ بزيد"(٤).

وهي عشرون جمعها ابن مالك في قوله:

---

[١] -البيان ٢٠٢/١.

[٢] - مغني اللبيب ١ / ٢٠٨ .

[٣] - ينظر : شرح المفصل ٨ / ٢ .

[٤] - معجم التعريفات للشريف الجرجاني ص٧٦،تحقيق محمد صديق المنشاوي،دار الفضيلة،القاهرة.

هَاكَ حُروف الْجَرِّ، وَهِيَ: مِنْ، إِلَى، حَتَّى، خَلَا، حَاشَا، عَدَا، فِي، عَنْ، عَلَى مُذْ، مُنْذُ، رُبَّ، اللَّامُ، كَيْ، وَاوٌ، وَتَا، وَالْكَـــــافُ، وَالْبَاءُ، وَلَعَلَّ، وَمَتَى[1]

وليس للحرف علامة ؛لذا يقول الحريري (٢)في "ملحة الإعراب":

والحَرْفُ مَا لَيْسَتْ له عَلَامَهْ فَقِسْ عَلَى قَوْلِي تَكُنْ عَلَّامَهْ

أي أن كل كلمة إذا لم تقبل دليل الاسم ولا دليل الفعلِ فهي حرف فعلامة الحرف هي عدمُ العلامة، فالحروف تمتاز عن الاسم والفعل بخلوها عن علامات الاسم والفعل نحو: (هل، في، لم، لن...)(٣)لذلك يقول ابن مالك:

سِوَاهُمَا الحَرْفُ كَهَلْ وَفِي وَلَمْ فِعْلٌ مُضَارِعٌ يَلِي لَمْ كَيَشَمْ(٤)

وسميت حروف الجر: لأنها تجر معنى الفعل قبلها إلى الاسم بعدها، أو لأنها تجر ما بعدها من الأسماء(٥) وهو الأرْجح، وقيل إنه قد اختير لها لفظ الجر؛ لأنه يعني جر الفك الأسفل إلى أسفل، فكما هو معلوم إن الحركات (الضمة والفتحة والكسرة) كانت حالاتها الإعرابية من رفع ونصب وجر تبعاً لأوصاف حركات الفم، وعند تسكين الحروف تقطع تلك الحركات(٦).

وقد سماها الكوفيون (حروف الخفض) للسبب نفسه كما يسمونها أيضاً (حروف الإضافة) لأنها تضيفُ معاني الأفعال قبلها إلى الأسماء بعدها؛ وذلك لأن من الأفعال مالا يقوى للوصول إلى المفعول به وهي الأفعال اللازمة فهذه

---

(١) - ينظر الألفية ص ٢٩،وشرح ابن عقيل: ٣/٢

(٢) - شرح الشيخ حسن الكفراوي على متن الأجرومية ص١٨،مكاتب سليمان مرعي، وشرح ابن عقيل: ٢٣/١-٢٤

(٣) - شرح ابن عقيل: ٢٤/١

(٤)- شرح ابن عقيل: ٢٣/١

٥- ينظر جامع الدروس العربية،تأليف مصطفى الغلاييني١٦٨/٣ ،مراجعة عبد المنعم خفاجة،منشورات المكتبة العصرية،صيدا ،بيروت، والخصائص: ١٤٦/١، ٣٤٢

١- ينظر معاني النحو ،فاضل السامرائي ٥/٣ ،بيروت ،دار الفكر ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.، وشرح المفصل: ٤٨٠/٨، وأسرار النحو: ٢٧٠

الحروف تكون بمثابة تعدية وتقوية لها نحو: عجبت من خالدٍ، ومررت بسعيدٍ(١).

ويسميها الكوفيون أيضاً (حروف الصفات) وذلك لإفادتها الوصفية في الاسم كالظرفية والبعضية والاستعلاء وغيرها(٢).

وتعدّ نيابة الحروف بعضها عن بعض ضرباً من ضروب التَّوسُّع والمجاز ، قال ابن السرّاج : " واعلم : أن العرب تتسع فيها فتقيم بعضها مقام بعض إذَا تقاربت المعاني ، فمن ذلك : الباء ، تقول : فلانٌ بمكة وفي مكة (٣)"

ونيابة الحروف بعضها عن بعض موطن خلاف بين النحاة فهم ينقسمون على قسمين :

الفريق الأول[٤] : وهم البصريون ، يرون أن لكل حرف معنى حقيقياً واحداً ويمنع نيابة بعض الحروف عن بعض قياساً وما أوهم ذلك فهو محمول على تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف أو على شذوذ النيابة .

والفريق الثاني : وهم الكوفيون فيجيزون نيابة بعض الحروف عن بعض قياساً فأعطوا الحرف أكثر من معنى(٥) .

---

[١] - وينظر المفصل: ٢٨٣، والانموذج بشرح الاردبيلي: ٦، وأسرار العربية: ٤٠، وشرح شذور الذهب: ٢٣٤

٣- شرح الآجرومية: ٢٧

[٣] - الأصول في النحو ١ / ٤١٤

[٤] -الأصول ٥٦/١ ،والاقتضاب في شرح أدب الكتاب ٢٦٢،٢٦٥/٢ تحقيق مصطفى السقا وحامد عبد المجيد،مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة١٩٩٦م.

و شرح المفصل٨/٨والجنى الداني ص٤٦،وحاشية الصبان ٢١٠/٢،

[٥] - ينظر : مغني اللبيب ١١٨/١ ،وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع لجلال الدين السيوطي ٣٣٢،٣٣٧/٢،تحقيق أحمد شمس الدين ،دار الكتب العلمية بيروت ،الطبعة الأولى ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.

، ومدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو تحقيق مهدي المخزومي ص ٢٨٤ ،الطبعة الثانية ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م.

وهذا ما تناقله خلف عن سلف ،ينسبون جواز الإنابة إلى الكوفيين وعدم الجواز إلى البصريين الذين يذهبون إلى التأويل أو التضمين.

وهذا القول ليس دقيقا ولا يمكن أن نسلم به على إطلاقه ،فلو عدنا إلى سيبويه لوجدنا الأصل عنده أن كل حرف من حروف الجر له معنى خاص به ،ولكن قد يتسع فيه إلا أنه يبقى محافظا على هذا المعنى يقول:"وباء الجر إنما هي للإلزاق والاختلاط ،وذلك قولك :خرجت بزيد ودخلت به وربته بالسوط :ألزقت ضربك إياه بالسوط ،فما اتسع من كلام فهذا أصله"[1]

ويقول:"وأما "إلى"فمنتهى لابتداء الغاية تقول:من كذا إلى كذا ،ويقول الرجل إنما أنا إليك أي إنما أنت غايتي ،فهذا أمر إلى وأصله وإن اتسعت"[2]

والحق أن المسألة راجعة إلى التراكيب وإلى دلالات الألفاظ فلا تعلق للمسألة بنيابة الحروف عن بعضها كما يقول الكوفيون ولا بالتضمين كما يقول البصريون . على أن البصريين وقفوا على طرف من الحل لا على جميع أطرافه فالحرف لا يقع موقع غيره من الحروف إلا إذا أردنا معنى ذلك الحرف الآخر ، وإلا صار الأمر ضرباً من العجمة وعدم البيان وفوضى في التعبير لا حد لها .

وهذه المخالفة للمألوف من استعمال حروف الجر باستخدام بعضها موضع بعض مخالفة مقصودة لغاية معنوية كامنة في نفس المتكلم يريد إيصالها إلى المعنى،وهذه الحقيقة أكدها أبو البركات فقال:" وهذا لأن العربي يتكلم بالكلمة إذا استهواه ضرب من الغلط فيعدل عن قياس كلامه"[3]

---

[1] -الكتاب ٢١٧/٤.
[2] -الكتاب ٢٣١/٤.
[3] -الإنصاف١٥٥/١.

وعقد ابن جنِّي في الخصائص باباً (في استعمال الحروف بعضها مكان بعض) ذكر فيه بعضاً من شواهد القرآن الكريم في النيابة قال فيه : " وذلك أنهم يقولون: إن (إلى) تكون بمعنى (مع) ويحتجون لذلك بقول الله سبحانه: " مَنْ أَنْصَارِي إلى اللهِ"(١) أي : مع الله ، ويقولون: إن (في) تكون بمعنى (على) ويحتجّون بقوله – عز اسمه :" وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ آلنَّخْلِ"(٢) أَي عَلَيْهَا "(٣)

وقد يقترن معنيان أو أكثر من معاني الحروف ، فتتعاور الحروف على هذا المعنى ، ومعنى ذلك أنه يتوسع في استعمال المعنى ، فيستعمل بعضها في معنى بعض .

يقول الدكتور فاضل صالح السامرائي: " إن الأصل: ألّا تنوب حروف الجر بعضها عن بعض، بل ابقاؤها على اصل معناها ما أمكن، فان لم يكن ذلك ففي الاتساع وعدم التكلف مندوحة"(٤).

ولم يغفل أبو البركات الأنباري الكلام عن هذه المعاني إذْ بحثها في كتابِهِ مشيراً إلى أصل تلك الحروف في الاستعمال ، ثُمّ إلى ما خرجت إليه من معانٍ آخر على سبيل التَّوسُّع والتجوَّز ، وهذه هي :

١–كما في قوله تعالى: "فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيدِيكُمْ إلى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إلى الْكَعْبَينِ"(٥) ، أي مع المرافق ومع الكعبين.

– وكما في قوله تعالى: "مَنْ أَنْصَارِي إلى اللَّهِ"(١) ، أي مع الله .

---

(١) ـ الصف / ١٤ .
(٢) ـ طه / ٧١
(٣) ـ الخصائص ٢ / ٣٠٦ – ٤٠٧ ، وينظر : معاني النحو ٣ / ٩ .
ذهب الكوفيون إلى أنَّ (في) بمعنى (على) ، وذهب البصريون إلى أَنَّه ليس بمعنى (على) ولكن شبه المصلوب لتمكنه من الجذع بالحال في الشيء فهو من باب المجاز .
(٤) ـمعاني النحو٣/١١.
(٥) ـالمائدة:٦.

-وكما في قوله تعالى: {وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلى أَمْوَالِكُم"[٢] ، أي مع أموالكم.

-وكقولهم في المثل: "الذّود إلى الذّود إبل" أي مع الذّود.

-وكقول الشاعر:

شَدَخَتْ غُرَّةُ السَّوَابِقِ فيهم في وجوه إلى اللّمَام الجِعَاد[٣]

أي مع اللمام[٤]

-وكقول الشاعر:

بها كُلُّ خَوَّارٍ إلى كُلِّ صَعْلَةٍ[٥]

أي مع كل صعلة.

-وكما في قوله تعالى: "لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ"[٦] أي ومن ظلم لا يحب أيضًا الجهر بالسوء منه، إلى غير ذلك من المواضع[٧]

٢- وقوله تعالى:"وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ آلنَّخْلِ"،يقول أبو البركات:أي عليها[٨]

---

[١] -ال عمران:٥٢.

[٢] -النساء:٢.

[٣] -البيت لابن مُفَرِّغ الحميري، واللمام جمع لمة وهي: الشعر إذا نزل من الرأس فجاوز شحمة الأذن، والجعاد: جمع جعدة وهي أنثي الجعد، والجعد: ضد السبط، والسبط: المسترسل من الشعر،ينظر:أدب الكاتب لابن قتيبة ص٥١٦،تحقيق محمد الدالي مؤسسة الرسالة.

[٤] -الإنصاف٢١٦/١.

[٥] -البيت لذي الرمة ،والخوار:ولد الظبية ،الصعلة،صغيرة الرأس،ضهول:قليلة اللبن ،القراهب:البقر المسنات،الرفض:المتفرقات.ينظر ديوان ذي الرمة ص٣٤،تحقيق عبد الرحمن المصطاوي ،دار المعرفة بيروت لبنان،الطبعة الأولى١٤٢٧هـ٢٠٠٦م.

[٦] -النساء :١٤٨.

[٧] -الإنصاف٢١٦/١.

[٨] -البيان٣٠٩/١.

٣-وقوله تعالى:"إذا اكتالوا على الناس يستوفون"أي من الناس[١]

٤-ونحو قوله تعالى:" للذين يؤلون من نسائهم" فالفعل "يؤلون" عدي بحرف الجر "من"، وحقه أن يتعدى بـ "على"يقول أبو البركات:"وليست من متعلقة ب"يؤلون"؛لأنه يقال آلى على امرأته ،وقول العامة :آلى من امرأته غلط ،وكأنه لما سمع قوله تعالى:" للذين يؤلون من نسائهم"ظن أن "من"متعلقة ب"يؤلون"،فجوز أن يقال آلى من امرأته ،وليس كذلك.[٢]

٥-والباء تكون عنده بمعنى "عن"قال[٣] في قوله تعالى:"فاسأل به خبيرا"[٤]:"الباء بمعنى عن قال الشاعر[٥]:

فإن تسألوني بالنساء فإنني بصير بأدواء النساء طبيب

أي عن النساء

٦-وتأتي عن عنده بمعنى بعد ،يقول في قوله تعالى:"لتركبن طبقا عن طبق"[٦]:"وعن بمعنى بعد ومنه قولهم:سادوا كابرا عن كابر،وقول الشاعر[٧]:

وتضحي فتيت المسك فوق فراشها نئوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

أي بعد تفضل.[٨]

---

(١) -البيان ٣٠٩/١.
(٢) -البيان ١٥٦/١.
(٣) -البيان ٢٠٧/٢.
(٤) -الفرقان :٥٩.
(٥) -البيت لعلقمة الفحل،الأدواء:جمع داء،وهي طباعهن المصيبة التي بمنزلة الأمراض فيهن ،طبيب:عالم،ينظر:شرح ديوان علقمة الفحل بقلم السيد أحمد صقرص١١،الطبعة الأولى ١٣٥٣هـ-١٩٣٥م،المطبعة المحمودية بالقاهرة،وأدب الكاتب ص٥٠٨،والإنصاف ٢١٦/١.
(٦) -الانشقاق :١٩.
(٧) -البيت من الطويل لامرئ القيس،الإضحاء:مصادفة الضحى ،الفتيت:اسم لدقاق الشيء الحاصل بالفت،التفضل:لبس الفضلة،ينظر ديوانه ص٤٤،تحقيق عبد الرحمن المصطاوي ،دار المعرفة بيروت لبنان،الطبعة الثانية١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
(٨) -البيان ٥٠٣/٢.

٧-وتأتي الباء عنده بمعنى "من"يقول في قوله تعالى:" عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا"[١]

يقول:"الباء فيها وجهان :أحدهما:أن تكون بمعنى "من"أي يشرب منها.

والثاني:أن تكون زائدة أي يشرب ماؤها ؛لأن العين لا يشر ،وإنما يشرب ماؤها.[٢]

وتأتي عنده بمعنى"في"،يقول في قوله تعالى:"عينا يشرب بها المقربون"[٣] المقربون"[٣] :الباء بمعنى فيها.[٤]"

٨-وتأتي "على"عنده بمعنى"في"وذلك كما في قوله تعالى:" فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ "[٥] يقول:"ويكون عليهم بمعنى "فيهم"،وقام"على"مقام"في"كما قام "في"مقام"على"[٦].

ومن الاتساع في كلام العرب حذف الجار ثم إيصال الفعل إلى المجرور به ، وهذه التعدية تدل على التضمين ،فإذا ضمن اللزم معنى المتعدي فإن التعدية حينئذ قرينة التضمين،والأدلة التي ذكرها النحاة دلت على أن العرب مع حكمتهم لا يتكلمون بما لا يفيد ،وأن الكلام الذي وضع في الأصل ما وضع إلا لفائدة قليله في وجوب الفائدة ككثيره.

---

[١] -الإنسان :٦.
[٢] -البيان٢/٤٨٢.
[٣] -المطففين:٢٨.
[٤] -البيان٢/٥٠٢.
[٥]-الأنعام:١٠٧.
[٦]-البيان١/٣٠٩.

وهذا مما كثر استعماله في القرآن والشعر ،ومن الأمثلة التي ذكرها أبو البركات على ذلك:

١ –قوله تعالى:" إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ "(١)،تقديره "يخوفكم بأوليائه "،فحذف المفعول الأول والباء من المفعول الثاني كقوله تعالى:" لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا"(٢)،وتقديره:لينذركم ببأس شديد.(٣)

٢ –قوله تعالى:" فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا"(٤)،فقد نصب"كيدكم"ب"أجمعوا"على تقدير حذف حرف الجر وتقديره :"فأجمعوا على كيدكم"،فحذف حرف الجر،فاتصل الفعل به ،فنصبه ،يقال:أجمع على كذا إذا عزم عليه ،فحذفها من الآية كما حذفها من قوله تعالى:" وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ"(٥)أي على عقدة النكاح.(٦)

٣– قوله تعالى:"وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا"(٧)،فاللام محذوفة من المفعول الأول وتقديره:"ويبغون لها عوجا.(٨)

٤– وقوله تعالى:" وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا"(٩)،فقومه وسبعين منصوبان مفعولان باختار،إلا أنه تعدى إلى "سبعين"من غير تقدير حذف حرف الجر،وتعدى إلى قومه بتقدير حذف حرف الجر،والتقدير فيه:"واختار موسى من قومه سبعين رجلا"،فحذف حرف الجر فتعدى الفعل إليه.(١٠)

---

(١) -آل عمران:١٧٥.
(٢) -الكهف:٢.
(٣) -البيان ٢٣١/١.
(٤) -طه:٦٤.
(٥) -البقرة:٢٣٥.
(٦) -البيان ١٤٦/٢.
(٧) -إبراهيم:٣.
(٨) -البيان ٥٤/٢.
(٩) -الأعراف :١٥٥.
(١٠) -البيان ٣٧٥/١.

٥-قولـه تعـالى:" وَمَـا لَهُـمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّـهُ"[١]فـأن ومـا دخلـت عليـه فـي موضع نصب بتقدير حذف حرف الجر وتقديره:من ألا يعذبهم.[٢]

الفصل الرابع
الاتساع في صور متفرقة

ومن المسائل التي ذكرها أبو البركات الأنباري في باب الاتساع:

١-مجيء الجملة الاستفهامية وَصْفًا في نحو قوله:

٢-جاءوا بِضَيْحٍ هل رأيت الذئب قطّ[٣] فقولـه "هل رأيت الذّئب قط" جملـة استفهامية في موضع وَصْف لضيح، وإن كانت لا تحتمل صدقًا ولا كذبًا، ولكنه كأنه قال: جاءوا بضيح يقول مَنْ رآه هل رأيت الذئب قط، فإنه يشبهه.

٣- مجيء الجملة الأمرية حالًا في قوله:

بئس مَقَامُ الشَّيخ أمْرِسْ أمْرِسِ إمَّا على قَعْوٍ، وإمَّا اقْعَنْسِسِ[٤]

أراد بئس مقام الشيخ مقولا فيه أمرس أمرس، ذمَّ مقامًا يقال له ذلك فيه، و "أمرس" أعِدِ الحبل إلى موضعه من البكرة.

---

[١] -الأنفال :٣٤.

[٢] -البيان١/٣٨٦.

[٣] - ينسب بعض الناس بهذا الرجز إلى العجاج بن رؤبة الراجز المشهور، ولكن الأكثرين على أنه لراجز لا يعلم، وكان قد نزل بقوم وانتظر طويلا عساهم أن يجيئوه بقراه، ثم جاءوه بلبن مشوب بكثير من الماء،ينظر :الإنصاف١/٩٥،وأوضح المسالك

[٤] - لم ينسبا إلى معين ،أمرس" فعل أمر أصله المرس، والمرس: مصدر "مرس الحبل يمرس مرسًا" وهو أن يقع الحبل في أحد جانبي البكرة بين الخطاف والبكرة،ينظر الإنصاف١/٩٥،ولسان العرب"مرس"

يقول أبو البركات:"وإنما جاءت هذه الأشياء في غير أماكنها لسَعَة اللغة"[١]

٣-إبراز الضمير إذا جرى الوصف على غير صاحبه:

ذهب الكوفيون إلى أن الضمير في اسم الفاعل إذا جرى على غير مَنْ هو له نحو قولك "هند زيد ضاربتُهُ هي" لا يجب إبرازه. وذهب البصريون إلى أنه يجب إبرازه، وأجمعوا على أن الضمير في اسم الفاعل إذا جرى على مَنْ هو له لا يجب إبرازه.

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أنه لا يجب إبرازه في اسم الفاعل إذا جرى على غير من هو له أنه قد جاء عن العرب أنهم قد استعملوه بترك إبرازه فيه إذا جرى على غير من هو له، قال الشاعر:

وإنَّ امْرَأً أسرَى إليك ودونه من الأرض مُومَاةٌ وبيداءُ خيفق

لمحقوقة أنْ تستجيبي دعاءَه وأن تعلمي أن المُعَانَ مُوَفَّقُ[٢]

فترك إبراز الضمير، ولو أبرزه لقال "محقوقة أنت "

وقد انتصر أبو البركات لرأي البصريين رادا على الكوفيين قولهم،يقول:"وأما الجواب عن كلمات الكوفيين وهو قوله: لمحقوقةٌ أن تستجيبي دعاءَه فلا حُجَّة لهم فيه؛ لأنه محمول عندنا على الاتّساع والحذف، والتقدير فيه: لمحقوقة بك أن تستجيبي دعاءه، وإذا جاز أن يُحْمَل البيت على وجه سائغ في العربية فقد سقط الاحتجاج به.[٣]

---

[١] -الإنصاف١/٩٥.

[٢] - البيتان للأعشى ميمون بن قيس، أسرى" سار ليلًا، ومومأة: أي صحراء واسعة، والبيداء: هي الصحراء ،خيفق:أرض واسعة يخفق فيها السراب ،ينظر:ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ص٢٥٥شرح د.محمد حسين،مكتبة الآداب،المطبعة النموذجية ،والإنصاف١/٥١

[٣] -الإنصاف١/٥٢.

٤-التوسع بالعطف على المجرور بدون إعادة حرف الجر:

ذكر أبو البركات مذهب البصريين في لزوم إعادة الجار في حال السعة والاختيار ،وجواز تركها اضطرارا ،كما ذكر مذهب الكوفيين في ترك الإعادة في حال السعة مستدلا على ذلك بقوله تعالى:"فاتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام "[١]بالجر في قراءة حمزة،وقوله تعالى:"ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم"[٢]،وقوله تعالى:"وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام"[٣]وقول الشاعر:

أكر على الكتيبة لا أبالي أفيها كان حتفي أم سواها(٤)

فسواها: في موضع خفض بالعطف على الضمير المخفوض في "فيها" والتقدير: أم في سواها.

وأورد كثيرا من الآيات والأشعار التي احتجوا بها لجواز العطف على المجرور دون إعادة الجار توسعا واختيارا،كما أوضح حجة البصريين في عدم جوازهم ذلك إلا في ضرورة الشعر ،واعتمادهم في ذلك على أن الجار مع المجرور بمنزلة شيء واحد ،فإذا عطفت على الضمير المجرور وهو متصل بالجار ،فكأنك عطفت الاسم على الحرف الجار ،وعطف الاسم على الحرف لا يجوز .

٥-التوسع بالعطف على الضمير المرفوع:

---

(١) -النساء:١.

(٢) -النساء:١٢٧.

(٣) -البقرة:٢١٧.

(٤) -البيت لعباس بن مرداس ، أكر: أي أرجع، يريد أنه قدم ولا يفر، والكتيبة: الجماعة من الجيش، والحتف :الموت والهلاك،ينظر:الإنصاف٢/٣٨٠

إلى ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز العطف على الضمير المرفوع المتصل في اختيار الكلام، نحو: "قُمْتُ وزيدٌ ."وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز إلا على قبح في ضرورة الشعر.

وأجمعوا على أنه إذا كان هناك توكيد أو فصل فإنه يجوز معه العطف من غير قبح.

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أنه يجوز العطف على الضمير المرفوع المتصل أنه قد جاء ذلك في كتاب الله تعالى وكلام العرب، قال الله تعالى: {ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى، وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى}(١) ،فعطف "هو" على الضمير المرفوع المستكن في: {اسْتَوَى} والمعنى: فاستوى جبريل ومحمد بالأفق، هو مطلع الشمس؛ فدل على جوازه، وقال الشاعر:

قلت إذا أقبلت وزُهْرٌ تَهَادَى كَنِعَاجِ المَلا تَعَسَّفْنَ رَمْلًا (٢)

فعطف "زُهْرٌ" على الضمير المرفوع في "أَقْبَلَتْ" وقال الآخر:

وَرَجَا الأَخَيْطِلُ من سَفَاهَةِ رَأيِه ما لم يكن وأبٌ له لِيَنَالَا(٣)

فعطف "وأبٌ" على الضمير المرفوع في "يَكُنْ" فدل على جوازه، كالعطف على الضمير المنصوب المتصل.

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إنه لا يجوز العطف على الضمير المرفوع المتصل وذلك لأنه لا يخلو: إما أن يكون مقدرًا في الفعل أو ملفوظًا به؛ فإن كان مقدرًا فيه نحو "قام وزيدٌ" فكأنه قد عَطَفَ اسمًا على فعل،

---

(١) -النجم:٦،٧.

(٢) - البيت لعمر بن أبي ربيعة المخزومي ،أراد بالزهر:النساء المشرقات اللون ،وتهادى: أصله تتهادى، فحذف إحدى التاءين، والنعاج: جمع نعجة، والفلا: جمع فلاة، وهي الصحراء الواسعة، وأراد بنعاج الفلا الظباء، وتعسفن: سرن سيرا شديدا ليس فيه تؤدة ولا رفق،ينظر :الكتاب١/٣٩٠،والخصائص٢/٣٨٣،والإنصاف٢/٣٨٨.

(٣) -البيت لجرير بن عطية بن الخطفي، يهجو الأخطل التغلبي، والسفاهة: ضعف الرأي،ديوان جرير ص٣٦٢،دار بيروت ١٤٠٦-١٩٨٦م.

وإن كان ملفوظًا به نحو "قمت وزيدٌ" فالتاء تنزل بمنزلة الجزء من الفعل، فلو جوّزنا العطف عليه لكان أيضًا بمنزلة عطف الاسم على الفعل، وذلك لا يجوز.

وقد انحاز أبو البركات إلى رأي البصريين في هذه المسألة ،واتهم رأي الكوفيين بالشذوذ الذي لا يؤخذ به، ولا يقاس عليه وأما الجواب عن كلمات الكوفيين: أما احتجاجهم بقوله تعالى: {فَاسْتَوَى، وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى} فالواو فيه واو الحال، لا واو العطف، والمراد به جبريل وحده، والمعنى أن جبريل وحده استوى بالقوة في حالة كونه بالأفق، وقيل: فاستوى على صورته التي خلق عليها في حالة كونه بالأفق، وإنما كان قبل ذلك يأتي النبي –صلى الله عليه وسلم– في صورة رجل[1].

الخاتمة

ومن معايشتنا لهذا العالم الجليل والوقوف على مواطن الاتساع عنده ودراسته يمكننا رصد بعض النتائج :

١–الاتساع ظاهرة يصعب الإحاطة بها ؛لكونها غاية المتكلم في إيراد لفظ، أو عبارة محتملة لأكثر من معنى في سياق واحد.

٢–إنَّ الاتساع يجعل اللغة مواكبة للتطور والتحضر على أن يكون وفق القوانين والقواعد اللغوية وبعكس ذلك يشكل خطراً كبيراً عليها حيث يؤدي إلى ضياعها وموتها إلا أن الله سبحانه وتعالى أراد لهذه اللغة البقاء والتطور لذلك أنزل كتابه الكريم بلسانٍ عربيٍ مبين موافقاً لكل زمان ومكان وشاءت مقدرة الله أن يفردها بهذه الخاصية (الاتساع) دون غيرها من اللغات.

٣–إنَّ الاتساع أسلوب إبداعي وقد وجد عند العرب؛ ذلك لأنهم تميزوا بقوة الإحساس والقدرة على التخيل الواسع فهم أمة شاعرة ، ولكونه إبداعاً

٢-الإنصاف٢/٣٨٩.

فقد صعُب على العلماء الإحاطة به لذلك لم يضعوا له حداً جامعاً مانعاً فهو غير خاضع للثبوت ولا يمكن تقييده وهذا لا يمنع وضعهم تعريفات تكاد تكون شاملة لمفهومه.

٤- الاتساع باب واسع يشمل كلا من الحذف والاختصار والحمل على المعنى والموضع والتوهم والتضمين ،وهو موجود منذ سيبويه،لكن الاختلاف في المصطلح لدى النحاة جعله مبهما وغامضا أحيانا .

-اعتمد نحاةَ العربية جميعَ الظواهر اللغويَّة الثابتة عن الفصحاء، دون ردِّ أيٍّ منها، وإن خالف ذلك الظواهر اللغوية الشائعة التي بُنِيَّتْ عليها القواعد العامّة.(١)

-التضمين باب واسع وملجأ رحب،لجأ النحاة إليه في تعليلهم لبعض المسائل النحوية.

-الاتساع في حذف حروف الجر ونصب ما بعدها على أنه مفعول به سماع وليس قياس.

-يرد الحذف في الصيغ عند أبي البركات الأنباري لاعتبارات صوتية كما في التقاء الساكنين وتوالي الأمثال والوقف والحذف لضرورة الشعر ،ويتصل جانب منه باعتبارات صرفية او نحوية كالحذف في صيغ التكسير وتراكيب المزج والإضافة والنسبة والحذف للإعراب.

-جانب من تقديرات النحاة للمحذوفات يتصل بقوانين الصناعة النحوية ويصدر عنها ،وقد لا يتطلبه الوقوف على المعنى ؛ولذلك نلحظ الخلاف فيه بين القدماء.

---

(١) -الخصائص ٩٩/١.

فهرس المراجع

- ابن الأنباري وجهوده في النحو،تأليف د جمال إبراهيم علوش ، رسالة دكتوراه مقدمة إلى معهد الآداب الشرقية بجامعة القديس يوسف ،بيروت١٩٧٧.
- الأشباه والنظائر للسيوطي تحقيق عبد العال سالم مكرم ،مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى .
- الأصول لابن السراج –تحقيق د. عبد الحسين الفتلي مؤسسة الرسالة – الطبعة الثالثة ١٩٨٨ م.
- الإغراب في جدل الإعراب لأبي البركات الأنباري ،تحقيق سعيد الأفغاني.
- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد البطليوسي،تحقيق مصطفى السقا وحامد عبد المجيد،مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة١٩٩٦م.
- إنباه الرواة على أنباء النحاة تأليف الوزير جمال الدين أبى الحسن على بن يوسف القفطى (٦٢٤هـ)- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار الفكر العربي القاهرة- مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين للأنبارى ،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد- مطبعة السعادة ،الطبعة الرابعة١٣٨٠هـ-١٩٦١م.
- تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي،تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ،دار الكتب العلمية ،بيروت،الطبعة الأولى١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

- البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي مكتبة المعارف ،بيروت لبنان ،الطبعة الثانية ١٩٩٠م.
- البرهان في علوم القرآن للزركشي،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،دار التراث.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،دار الفكر ،الطبعة الثانية ١٩٧٩م.
- البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات الأنباري ،حقيق د.طه عبد الحميد طه ،مراجعة مصطفى السقا،الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٢هـ-١٩٨٠م.
- تحصيل عين الذهب، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان.
- معجم التعريفات للشريف الجرجاني ،تحقيق محمد صديق المنشاوي،دار الفضيلة،القاهرة.
- التلخيص في علوم البلاغة للقزويني ،شرحه:عبد الرحمن البرقوقي،دار الفكر العربي.
- تناوب حروف الجر في لغة القرآن للدكتور محمد حسن عواد.
- تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري ت٣٧٠هـ) إشراف محمد عوض مرعب ،تعليق عمر سلامي وعبد الكريم حامد تقديم فاطمة محمد أصلان الطبعة الأولى بيروت لبنان دار إحياء التراث ١٤٢١هـ ٢٠٠١م
- جامع الدروس العربية،تأليف مصطفى الغلاييني ،مراجعة عبد المنعم خفاجة،منشورات المكتبة العصرية،صيدا ،بيروت.
- الجنى الداني في حروف المعاني لأبى الحسن بن قاسم المرادي- تحقيق د/فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل- دار الأفاق الجديدة - بيروت- الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعينى- دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابى الحلبي.
- حاشية ياسين ،دار الفكر بيروت.
- الحمل على المعنى رسالة ماجستير للباحث أشرف مبروك بكلية دار العلوم ،القاهرة.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي تحقيق عبد السلام محمد هارون الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- الخصائص تحقيق / محمد على النجار – من دون طبعة ولا تاريخ .
- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ،تعليق:محمود محمد شاكر،مكتبة الخانجي بالقاهرة ،الطبعة الخامسة.
- ديوان لبيد ،حمدو طماس،دار المعرفة،بيروت،الطبعة الأولى١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- الرّماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، مازن المبارك، ، دار الفكر المعاصر، بيروت.
- سير أعلام النبلاء للذهبي ،تحقيق د.بشار عواد معروف ،و د.محي هلال السرحان،مؤسسة الرسالة،الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- شرح ابن عقيل ،تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد،دار إحياء التراث العربي،بيروت،لبنان الطبعة الثانية.
- شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين الأستراباذى (٦٨٦هـ)- تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد – دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

- شرح الشيخ حسن الكفراوي على متن الأجرومية ،مكاتب سليمان مرعي.
- شرح المفصل لابن يعيش (٦٤٣هـ)عالم الكتب – بيروت .
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري ،تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ،دار العلم للملايين ،الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م.
- ضرائر الشعر لابن عصفور الإشبيلي،تحقيق السيد إبراهيم محمد ،الطبعة الأولى ١٩٨٠م.
- طبقات الشافعية للسبكي تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي ،دار الكتب العربية.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيي بن حمزة العلوي،مطبعة المقتطف بمصر ١٣٣٣هـ-١٩١٤م.
- ظاهرة قياس الحمل في اللغة العربية ، عبد الفتاح البجة ، دار الفكر للنشر، عمّان.
- العبر في خبر من غبر للذهبي ،الكويت ١٩٦٠م
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،دار الجيل بيروت لبنان.
- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٥هـ)تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ،الطبعة الأولى،بيروت–لبنان مؤسسة الأعلمي ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م
- فقه اللغة وخصائص العربية ،المبارك محمد ص٢١٨،دار الفكر – بيروت،الطبعة السابعة ١٩٨١م.

- فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ،تحقيق:إحسان عباس ،دار صادر بيروت
- قضايا التعدي واللزوم ،أبو أوس إبراهيم الشمسان ،جدة ،دار المدني ١٤٠٧هـ-١٩٨٧و.
- الكافية في النحو، ابن الحاجب- شرح الإستراباذي النحوي.
- الكامل في التاريخ لابن الأثير،دار صادر بيروت.
- كتاب سيبويه أبى بشر عمرو بن عثمان بن قنبر،تحقيق: عبد السلام محمد هارون- دار الجيل بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- كشف المشكل في النَّحو الحيدرة اليمني ت ٥٩٩هـ ، تحقيق: هادي عطية مطر، الطبعة الأولى،مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- لسان العرب لابن منظور-تحقيق لجنة من الأساتذة- دار المعارف.
- المثل السائر لابن الأثير،تحقيق د.أحمد الحوفي،ود.بدوي طبانة،الطبعة الثانية،دار نهضة مصر.
- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو تحقيق مهدي المخزومي ،الطبعة الثانية ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م.
- المصباح المنير للفيومي ،وزارة المعارف العمومية،الطبعة الخامسة،المطبعة الأميرية بالقاهرة.
- معاني النحو ،فاضل السامرائي،بيروت ،دار الفكر ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- معجم البلدان للحموي، الطبعة الأولى ،دار صادر للطباعة والنشر ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.
- معجم المصطلحات النحويّة والصرفية ،محمد اللبدي ، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.
- معجم المقاييس في اللغة لابن فارس ، دار الفكر .

- **معجم الوسيط ،مجمع اللغة العربية ،مكتبة الشروق الدولية ،الطبعة الرابعة٢٠٠٤م.**
- **معجم مصطلحات النحو والصّرف والعروض محمد عبادة، ، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة.**
- **النحو الوافي عباس حسن،دار المعارف القاهرة ،الطبعة التاسعة١٩٨٧م.،ومجلة مجمع القاهرة .**
- **النحو والدلالة ،محمد حماسة عبد اللطيف**
- **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع لجلال الدين السيوطي تحقيق أحمد شمس الدين ،دار الكتب العلمية بيروت ،الطبعة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.**
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.**